

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (٧)

التعليق

على

الفتوى الحموية الكبرى

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ

تعليق

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، وصَلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، وَمَنْ اهتدى بهُذاه إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فيطيب «لمؤسسة الشَّيخ عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم تعليقات سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عَلَى «الفتوى الحموية الكبرى» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، والتي في اعتقاد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

وقد أتى سماحة الشَّيخ على هذه الرسالة بالشرح والبيان أكثر من مرة، والذي وجدناه مسجلاً شرحين، فكان التأليف بينهما وجعل الشرح الكامل أصلاً، وإضافة الزيادات من الشرح الثاني مما لم يرد في الشرح الأول بين معقوفتين، وقد امتاز الشرح بوضوح العبارة، وامتازت هذه الطبعة بهذه الزيادات من الشرح الثاني، والاقتصار من الأسئلة على ما له صلة بمادة الكتاب، فيما ضمت الأسئلة الأخرى لمجموع فتاوى الدروس.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له الأجر والثوبة.

كما نسأله تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من تسبّب في إخراج هذه المادة، وأن يجزيهم الله خير الجزاء.

كما نسأله سبحانه أن يأجر كل من قرأ هذا التعليق، وساهم في نشره؛ إنّه سميع قريب مجيب.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد، وعلى آله، وصحبه، وسلّم.

مؤسسة الشيخ

عبد العزيز بن باز الخيرية

للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:

الإيميل: info@binbazfoundation.sa

هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤



ترجمة موجزة للمعلق رحمته الله ^(١)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه: 

اسمه: هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رحمته الله.

مولده ونشأته وأسرته: 

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٢/١٢/١٣٣٠هـ) وبالرياض نشأ وشبَّ وكبر، ولم يخرج منها إلا ناوياً

(١) ينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٩/١ - ١٢) من جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) والإبريزية في التسعين البازية، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

الحج أو العمرة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف. وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبِّ الخير، في حضن والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٣٣٣هـ) وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته وتنشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًا من سماحتهم. وكان لوالدته -رحمها الله- التي توفيت عام (١٣٥٦هـ) دور بارز، وأثر بالغ في توجيهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرتهم عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشيخ عبد الله بن مفيريج رحمته، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية، على أيدي كثير من علماء الرياض، ومن أعلامهم:

- ١- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله-.
- ٢- الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) -رحمهم الله-.
- ٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رحمته.
- ٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رحمته.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رحمته أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ، حيث كان يتردد على الشيخ سعد في دكانه مدة شهرين.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمته وقد لزم حلقاته صباحاً ومساءً، وحضر كل ما يقرأ عليه، ثم قرأ عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، وقرأ عليه شيئاً كثيراً في التفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته^(١).

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصرهم ونحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة حدود سبعين عامًا، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الرحمة في ترجمة سماحته أكثر من (٤٧٤ طالبًا)^(٢).

وأما حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال، **منها:** القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا، (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ) **ومنها:** التدريس في المعهد العلمي في الرياض، ثم كلية الشريعة (١٣٧١ - ١٣٨١هـ) دَرَسَ الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها:** العمل إداريًا في التعليم، (١٣٨١ - ١٣٩٥هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/١٠/١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز (ص ٣٣، ٣٤).

(٢) ينظر: الإنجاز في ترجمة سماحة الإمام عبد العزيز بن باز (ص ٨٤ - ١٢٤).

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتى مطلع سنة (١٤١٤هـ).

وفي (٢٠/١/١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ورئيساً لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله (٢٧/١/١٤٢٠هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضواً أو رئيساً لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي؛ كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها، وما من منصب تقلده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات خالدة ﷺ.

❁ صفاته الخلقية والخلقية:

أمّا صفاته الخلقية: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلاً، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمّا صفاته الخلقية: فقد جبل الله الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الرحمة في ترجمته لسماحة الشيخ تسعين صفة ومنقبة

تميّز بها سماحته رَحِمَهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته^(١).

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه»^(٢).

❁ مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًا^(٣): وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» الذي قام بجمعه وترتيبه معالي الشيخ الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ.

كما حوّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلى كتاب بعنوان: «فتاوى نور على الدرب» وطبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للرحمة (٣٧، ٤٥ - ٦٠) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز للحمد والموسى (٣٩ - ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من: تقديم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ لكتاب فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٤/١) جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

(٣) ذكر منها سماحته في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» ثلاثة وعشرين مؤلفًا له (١١/١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤) عنوانًا في مقدمة كتاب «التحفة الكريمة» (ص ٢٠ - ٢٦) كان قد أفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتِيبًا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ، كما أفرد لها بمؤلف صالح بن راشد الهويميل بعنوان: «الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز».

والإفتاء في (٣٥) مجلدًا.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «تعلیق التبصير في معالم الدين» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ، وتعلیق سماحته على «مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعلیق على تفسيره لسورة الفاتحة» وشرح «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللهُ، وشرح كتاب «الواسطية» و«العقيدة الحموية» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وشرح كتاب «كشف الشبهات» وشرح كتاب «القواعد الأربع» وتعليقات على كتاب «فضل الإسلام» وشرح كتاب «التوحيد» وشرح كتاب «الأصول الثلاثة» جميع هذه الكتب الخمسة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «وظائف رمضان» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللهُ، من لـ«طائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللهُ، وغيرها.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: ما اعتنى به تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، كـ«تحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة» و«تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان» و«تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان» وغيرها.

وتعليقات سماحته على كتاب التقريب للحافظ ابن حجر، بعنوان: «النكت على تقريب التهذيب» بتحقيق: د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «الفوائد العلمية من الدروس البازية» الذي جمعه معالي الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

زوجاته وعقبه ووفاته:

تزوج رحمته الله **أربع نسوة: أولى زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي:** ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلاً عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز رحمته الله، **ورابع زوجاته** تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته: عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشور والنقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين^(١).

وفاته:

توفي رحمته الله قبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/١/١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عاماً، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه، آمين.

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز (ص ٣٤، ٣٥) والإبريزية في التسعين البازية للشتوي (ص ٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للقاسم (ص ٢٣).

مكانة «الفتوى الحموية»

عند الشيخ ابن باز رحمته الله وثناؤه عليها^(١)

«الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله رسالة عظيمة، فقد أبان فيها الحق، وردّ على أهل الباطل، ونقل فيها نقولاً عظيمة، ونحن بحاجة إلى سماعها مائة مرة، فهي من أحسن ما ألفه المؤلف، ومن أوضح ما يردّ على هؤلاء المبطلين، ويبين زيفهم وضلالهم، واختلافهم وافتراقهم، وأنهم على غاية من البعد عن الهدى، وعلى غاية من الضلالة، وأنه لا سبيل لهم إلى الصواب إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال ﷺ: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فهو سبحانه أعلم بنفسه وأعلم بغيره، ورسوله أعلم بربه ﷺ، فما أخبر به الله عن نفسه، وأخبر به الرسول ﷺ عن ربه؛ فهو الحق والصواب، وما خالفه فهو الباطل والضلال.

فهذا الكتاب الذي هو «الحموية» كتاب عظيم، جدير بالعناية والحفظ؛ لما فيه من النقول عن السلف، وبيان الحق بأدلتها، والرد على أهل الباطل من أهل الكلام والبدع، ومن الفلاسفة والملاحدة، فهو كتاب عظيم مع اختصاره، ومع وضوحه، وهو في الحقيقة من أحسن ما كتبه المؤلف رحمته الله.

(١) تمّ جمعُ كلام سماحته رحمته الله على «الفتوى الحموية» من المواضع التي تكلم عليها أثناء شرحه لها.

تعريف الشيخ ابن باز بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله

من أبرز العلماء وأولاهم بالاتباع والعناية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني^(١)، العَلَمُ المشهور شيخ الإسلام، فهو من أبرز العلماء وأفضلهم، ولا أعلم - على حسب ما اطلعت عليه - في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله ودينه وأتقى الله منه؛ فيما ظهر لي من كُتبه ونشاطه وغيرته لله، فرضي الله عنه ورحمه.

كان مولده سنة إحدى وستين وستمئة هجرية [٦٦١هـ]، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمئة من الهجرة [٧٢٨هـ] فقد عاش رَحِمَهُ اللهُ ثمانية وستون عامًا [٦٨هـ]^(٢).

ثم يليه في هذا تلميذه البارُّ الصَّادقُ العَلَّامةُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ^(٣)، فهو من أكمل الناس علمًا وفضلًا وتقوى، فكلاهما جدير بأن يُعنى بكتبهما؛ فقد اعتنيا جميعًا بالأدلة الشرعية، والعِلَلُ المَرَعِيَّةُ، وترجيح الراجح، وتزييف الزَّائف في مسائل الخلاف بكل عناية وتجرد وبُعدٍ عن الهوى، وإن كانا ليسا بمعصومين، لا شيخ الإسلام، ولا العلامة ابن القَيِّم، ولا غيرهما من العلماء، فكلُّ له

(١) ينظر ترجمته في «العقود الدرية».

(٢) نقلًا من شرح سماحته لكتاب العقيدة الواسطية.

(٣) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّرعيّ الدمشقي، المعروف بابن قَيِّم الجوزية، أحد كبار العلماء، وصاحب التصانيف الكثيرة، (٦٩١هـ - ٧٥١هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٢٥٦).

نصيبه مما أعطاه الله من العلم والفضل، وكلُّ له أغلاط وأخطاء؛ لكنها بالنسبة إلى علمهم وفضلهم كقطرة في بحر.

وهكذا الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم كلُّ له بعض الأخطاء والأغلاط على حسب بصيرته في كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى حسب ما بلغهم من العلم؛ فقد يَبْلُغ العالم أكثر مما يبلغ العالم الآخر من الأدلة الحديثية، وقد يفهم من الكتاب العزيز ومن السنة ما لا يفهمه الآخر، فلذلك تفاوتوا، وتفاوتت مراتبهم في العلم، فهم مختلفون في العلم والفضل، وهم طبقات، وقد صنَّف أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كتابًا في هذا الشأن سَمَّاهُ: «رفع المَلَام عن الأئمة الأعلام»، وهو كتاب جيد ومفيد جدير بالعناية، يَعْرِفُ به طالب العلم منازل العلماء، وأعذارهم فيما قد يقع من الأخطاء والأغلاط.

والحاصل: أنَّ أبا العباس ابن تيمية من خيرة أهل العلم، وهو جدير بأن يُعْتَنَى بكتبه وأقواله، وهكذا تلميذه العلامة ابن القيم رحمة الله عليه، وهكذا أئمة الدَّعوة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب^(١)، ومَنْ سار على دعوته ونصرها، وألَّفَ فيها، فهم جديرون بأن يُعْتَنَى بكتبهم، وما قرَّروه في توحيد العبادة، وفي الردِّ على أهل البدع، وفي نصر السنة، فلهم في هذا حظ وافر، ونصيب عظيم، رحمة الله عليهم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر في المعنى شيخًا للإمام المجدِّد

(١) هو شيخ الإسلام أبو الحسين محمد بن عبد الوهَّاب التيمي، الإمام المجدِّد لما اندثر من دين الإسلام في جزيرة العرب، (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ). الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب ودعوته وسيرته للشيخ عبدالعزيز بن باز (ص ٢٠).

محمد بن عبد الوهَّاب رحمة الله عليه، وإن كان بينهما مسافة طويلة من الزمان؛ لكنَّه في الحقيقة شيخ له؛ لِعُكُوف الإمام محمد بن عبد الوهَّاب على كتبه والاستفادة منها، ومن كتب ابن القيم وأشباههما من أهل العلم والبصيرة.



[نصُّ السؤال الوارد على شيخ الإسلام الدَّاعي لتأليف الفتوى الحمويَّة]

«بسم الله الرحمن الرحيم

في سنة ثمان وتسعين وستمائة سُئِلَ شيخ الإسلام العالم الربَّاني
تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله تعالى،
وقد جرى بسبب هذا الجواب أمور ومَحَنٌ^(١)، وهو جواب عظيم
النفع جدًّا، فقال السائل:

ما قول السَّادة الفقهاء أئمة الدِّين في آيات الصفات؛ كقوله
تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَتْ:
١١]، إلى غير ذلك من الآيات. وأحاديث الصفات؛ كقوله ﷺ: «إِنْ
قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(٢)، وقوله: «يُضَعُ
الْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ»^(٣)، إلى غير ذلك. وما قالت العلماء فيه،
وابسطوا القول في ذلك مأجورين إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى؟

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين. قولنا فيها ما قال الله ورسوله ﷺ،
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

(١) ينظر: «البداية والنهاية» (١٧/٧١١)، و«العقود الدرية» (ص ٢١١).

(٢) رواه مسلم برقم: (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو ؓ.

(٣) متفق عليه من حديث أنس ؓ، رواه البخاري برقم: (٤٨٤٨)، ومسلم برقم:
(٢٨٤٨) بنحوه.

بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره، فإنَّ الله ﷻ بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الحقُّ على جميع الخلق؛ وهو اتِّباع ما دلَّ عليه كتاب الله، وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ودرَج عليه سلف الأئمة، في باب الإيمان، وفي باب الإسلام، وفي باب الأسماء والصفات، وفي باب الأعمال، يجب سلوك مسلك السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ، والسير على ذلك، والاستقامة على ذلك، وترك ما خالف ذلك من أقوال المتأخرين.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فمن المُحَال في العقل والدين أن يكون السَّراج المنير الذي أَخْرَجَ اللهُ به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يَرُدُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بُعِثَ به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأُمَّتِهِ دينهم، وأَتَمَّ عليهم نعمته؛ مُحَال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يُمَيِّز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وما يجوز وما يمتنع عليه؛ فَإِنَّ معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

لأن أصل الدين هو الأساس، فأفضل ما أدركته القلوب والعقول، وأفضل ما اكتسبته العقول والقلوب، وأفضل ما فعله واعتقده الناس هو الإيمان بالله ورسوله، والإخلاص لله، والتصديق بأنه الحق، وأنه المعبود بالحق، وأنَّ رسوله محمداً ﷺ حق، وأنَّ ما جاء به حق، هذا هو أصل الدين وأساسه، ولا طريق إلى هذا إلا بالكتاب والسُّنة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحَكِّمُوا هذا الباب اعتقادًا وقولًا؟! ومن المُحَال أيضًا: أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أُمَّتَهُ كل شيء حتى الخِراءة^(١)، وقال: «تركتم على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يَزِغُ عنها بعدي إلا هالك»^(٢)، وقال فيما صحَّ عنه أيضًا: «ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّتَهُ على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»^(٣).

وقال أبو ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لقد تُوفِّي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»^(٤) وقال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك مَنْ حفظه، ونسبه مَنْ نسبه». رواه البخاري^(٥).

(١) يشير إلى حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم برقم: (٢٦٢)، ولفظه: عن سلمان قال: «قيل له: قد علَّمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِراءة قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم».

(٢) رواه ابن ماجه برقم: (٤٣)، وأحمد برقم: (١٧١٤٢) من حديث العُرْبَاض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألباني، ينظر: «السلسلة الصحيحة» رقم: (٩٣٧) وصححه الحاكم (٣٣١) وسكت عنه الذهبي.

(٣) رواه مسلم برقم: (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

(٤) رواه أحمد برقم: (٢١٤٣٩).

(٥) رواه البخاري برقم: (٣١٩٢).

[منزلة العلم بالله تعالى]

وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ - أَنْ يَتْرَكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ؛ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ الْمَعَارِفِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ، وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ، بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ بَيَانُ هَذَا الْبَابِ قَدْ وَقَعَ مِنَ الرِّسُولِ ﷺ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ؟! ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ فَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ أُمَّتِهِ وَأَفْضَلُ قُرُونِهَا قَصَّرُوا فِي هَذَا الْبَابِ زَائِدِينَ فِيهِ أَوْ نَاقِصِينَ عَنْهُ، ثُمَّ مِنَ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْقُرُونُ الْفَاضِلَةُ - الْقُرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ^(١) - كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ؛ لِأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ الْعِلْمِ وَالْقَوْلِ، وَإِمَّا اعْتِقَادَ نَقِيضِ الْحَقِّ وَقَوْلٍ خِلَافَ الصِّدْقِ، وَكِلَاهُمَا مَمْتَنَعٌ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلَأَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حَيَاةٍ وَطَلَبَ لِلْعِلْمِ أَوْ نَهَمَهُ فِي الْعِبَادَةِ؛ يَكُونُ الْبَحْثُ عَنْ هَذَا الْبَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ فِيهِ أَكْبَرَ مَقَاصِدِهِ، وَأَعْظَمَ مَطَالِبِهِ، أَعْنِي: بَيَانُ مَا يَنْبَغِي اعْتِقَادَهُ، لَا مَعْرِفَةُ كَيْفِيَةِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن المقصود: معرفة صفاته وأسمائه، والإيمان بذلك، وأنه ربُّ العالمين، وأنه الحقُّ المبين، وأنه العالم بكل شيء، والقادر

(١) جاء هذا عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منهم عمران بن الحُصَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٣٦٥٠)، ومسلم برقم: (٢٥٣٥).

على كل شيء، وأنه سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فهذا المقام هو أشرف المقامات وأعظمها، وهو أساس الملة والدين، أما كيفية الصفات فمنتفية، لا يعلمها إلا هو ﷻ، فلا يعلم كيف استواؤه، ولا كيف نزوله، ولا كيف قدمه، ولا كيف يده، ولا كيف وجهه؛ إلا هو ﷻ، وهكذا «الذات».

والمقصود من هذا كله: أَنَّ الله جل وعلا بعث محمدًا ﷺ، وأنزل الكتاب؛ لبيان أسمائه وصفاته، وبيان حقه على عباده، وبيان ما يجب أن يُعتقد فيه ﷻ، وهذا أشرف المطالب، وأعظم المكاسب، ولهذا بيّنته الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وبيّنته خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أعظم من بيان العبادات الأخرى.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدانيّة، فكيف يُتصوّر مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلّف عنه مقتضاه في أولئك السّادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدّهم إعراضاً عن الله، وأعظمهم انكباباً على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع في أولئك؟! وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحقّ أو قائلية؛ فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عَرَفَ حال القوم.

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه.

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها، من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، (وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً)^(١).

(١) هذه العبارة محل نظر في ثبوتها عن شيخ الإسلام، فهي غير موجودة في النسخ الخطية والتي يصل عددها إلى تسع نسخ إلا في واحدة، وكذا الطباعات القديمة، ولم يثبتها ابن عبد الهادي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العقود الدرية (ص ٦٧-٩٤) ساق فيه جزءاً من الحموية، وكذلك مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه الكواكب الدرية (ص ١٠٢-١١٢) قاله د. حمد بن عبدالله التويجري ينظر: الفتوى الحموية بتحقيقه (ص ٢٠٤).

[منشأ الخطأ عند من فضّل طريقة الخلف على طريق السلف]

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يُفضّلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلُّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى في هذا: أن السلف هم أعلم الناس بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأعلم الناس باللغة العربية، فطريقتهم هي الأعلم والأحكم والأسلم؛ لأن التأويلات التي سلكها المتأخرون فيها خطر عظيم، أما السلف فقبِلُوا النصوص وسلَّمُوا لها، وآمنوا بما دلت عليه ولم يتأوَّلوها؛ لعلمهم وفضلهم وبصيرتهم، ولبعُدِهِم عن الخطر، واحتياطهم لدينهم، فكانوا أسلم وأعلم وأحكم، وأقرب إلى الصواب، بخلاف طريقة الخلف فهي مملوءة بالأشواك والأخطار، مع قلة العلم والبصيرة، والجُرْأة على الله وعلى دينه.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر - وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى - بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل، والكفر بالسمع».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا غلط؛ فليست طريقة السلف «التفويض»، وليست طريقة الخلف بصواب وكلاهما، فطريقة السلف: الإيمان بالمعنى، والتسليم لله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه حق، وأنه لائق بالله لا شبيه له فيه رَحِمَهُ اللهُ، فليسوا مفوضين؛ بل مؤمنون بالألفاظ والمعاني، ومعتقدون للمعاني مسلمون لها على الوجه اللائق بالله رَحِمَهُ اللهُ.

ومعنى «التفويض»: أن يقال: ما نعرف المعنى، نفوضه إلى الله، وهذا غلط، «والمفوضة شر من الجهمية»، كما جاء عن الإمام أحمد؛ لأنهم اعتقدوا أن الله خاطب الناس بشيء لا يفهمونه، وهذا غلط، بل خاطب الناس بما يعلمون ويفهمون على الوجه اللائق به رَحِمَهُ اللهُ، ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فأخبرهم بالمعنى، وأنه حق، وأنه ليس من جنس ما يفهمون؛ بل هو معنى لائق بالله رَحِمَهُ اللهُ.

أما التأويل وصرف النصوص عن ظواهرها فهذا باطل، قادم إليه سوء ظنهم بالله، وعدم بصيرتهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرّفوا فيه الكلام عن مواضعه.

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدّمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة: استجھال السابقين الأولين واستبلاهم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين، بمنزلة الصالحين من العامّة، لم يتبحّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطّنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قَصَبَ السبق في هذا كله.

[الحيرة والشك عند المتكلمين]

ثم هذا القول إذا تدبّره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما - والإشارة بالخلف إلى ضَرْبٍ من المتكلمين - الذين كَثُرَ في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم^(١):

لعمري لقد طُفْتُ المعاهدَ كلّها وصيرتُ طَرْفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كَفَّ حائرٍ على ذَقْنٍ أو قارِعًا سِنَّ نادم
وأقرُّوا على أنفسهم بما قالوا متمثّلين به أو مُنشئين له فيما
صنّفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم^(٢):

نَهايةُ إقْدَامِ العُقُولِ عِقالُ وأكثرُ سعيِ العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وَحْشَةٍ من جُسُومنا وغايةُ دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

(١) نسبه المؤلف للشَّهْرِسْتَانِي، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧٣/٤).

(٢) هو فخر الدِّين الرَّازِي، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧٣-٧٢/٤).

لقد تأملت الطُّرُق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطُّرُق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [ناطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [علمًا] [طه: ١١٠]، ومن جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. ويقول الآخر منهم^(١): «لقد خُضْتُ البحر الخِضَمَّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخُضْتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أُمِّي». ويقول الآخر منهم^(٢): «أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا: أن هؤلاء الذين ابتلوا بالكلام، وأكثروا من البحث في هذه الأمور، ونقلوا عن أصحاب الكلام وأهل الحيرة ما نقلوا، في الحقيقة أنهم ما استفادوا شيئًا، وندم الكثير منهم على ما فعل، وكان آخر كلامهم ما ذكره المؤلف.

وهذا كله يبيِّن لنا أن الواجب على أهل العلم التمسُّك بما كان عليه السلف الصالح من تعظيم كتاب الله والأخذ به، والأخذ بالسُّنة والثبات عليها، ونبذ ما خالف ذلك، وعدم الخوض في آيات الصفات وأحاديثها بما يقوله أصحاب الكلام، الذين كَثُرَ في هذا الباب - باب أسماء الله وصفاته - اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله

(١) هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧٣/٤).

(٢) نسبه المؤلف لأبي حامد الغزالي، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/٤).

حجابهم؛ بسبب إعراضهم عن كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فلم يستفيدوا من بحثهم إلا قليل وقالوا، وإلا الخوض الباطل الذي لا نتيجة له، فيكفي في الإثبات ما جاء من نصوص الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١٨١]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. ويكفي في النفي ما جاء من نصوص النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وأشباهاها. فهذه كافية في أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

فمن قال: إن هؤلاء المتأخرين أعلم وأحكم فقد غلط غلطاً عظيماً، وقد فقد صوابه، وأصيب في عقله وفي علمه، فإن أهل السنة والجماعة الذين سبقوا إلى هذا الأمر؛ هم أعلم بالله، وأحكم في أقوالهم وأفعالهم، وهم الذين سلكوا الطريق التي فيها السلامة؛ وهي طريق الحكمة، وطريق العلم، وطريق الفقه في الدين، وطريق التأدب مع الله ومع رسوله، فهم أولى بالله، وأولى برسوله ﷺ من هؤلاء المتأخرين.

فمن قال: «إن الحلف أعلم وأحكم، والسلف أسلم»؛ فقد قال الباطل، وغلط غلطاً عظيماً لا وجه له، بل السلف الصالح هم أعلم وأحكم وأسلم، والمتأخرون هم أقل علماً، وأكثر تكلفاً، وأقل حكمة، وأقل بصيرة، نسأل الله السلامة.



[استحالة أن يكون الخلف أعلم من السلف]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خير، ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المَفْضُولُونَ المسبوقون الحيارى المنهوكون^(١) أعلم بالله وأسمائه، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدُّجَى؛ الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به^(٢) على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا مَنْ يطلب المقابلة؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يبيِّن أن ما تقدَّم من قول المؤلف: «وإن كانت هذه

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «لعله «المنهوكون» بالتاء بدل النون، والمنهوك: الذي يقول بغير علم، ويتصرف بغير علم».

(٢) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: ««برزوا به» يعني: امتازوا، أما «برز» فمعناها: ظهر، فالمراد هنا: التبريز الذي هو الامتياز».

العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يَعْنِي بها معنى صحيحاً^(١) ليس بشيء، وأن هذه - والله أعلم - مُدْخَلَةٌ على المؤلف، وليس لها أصل في كلامه؛ لأنها عبارة خبيثة في حق من قالها؛ أن «طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم»، هذه لا يقولها عالم، ولا متبصّر، ولا عاقل يعقل ما يقول. فهذا غلط قبيح.



(١) ينظر: (ص ٢٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!»

وإنما قدّمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرّف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعَلِمَ أن الضلال والتهوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنزهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحداً معيناً، إنما أصف نوع هؤلاء.

[أدلة علو الله تعالى على خلقه]

وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوّله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أوّلها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة؛ مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله ﷻ هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو عالٍ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ

تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿١٧﴾ [الْمُلْك: ١٦-١٧]،
 ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المَعَارِج: ٤]،
 ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجْدَة: ٥]،
 ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحْل: ٥٠]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٤]،
 في ستة مواضع ^(١)، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿يَهْمَنُنْ
 ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾﴾ [غَافِر: ٣٦-٣٧]، ﴿تَنْزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾
 [فُضِّلَتْ: ٤٢]، ﴿مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الْأَنْعَام: ١١٤]، إلى أمثال ذلك مما لا
 يكاد يحصى إلا بالكُلْفَةِ.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وكل هذه طُرُقٌ دالة على علوِّ الله وفوقيته، وأنه فوق العرش فوق
 جميع الخلق، منها: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٥]، ﴿تَعْرُجُ
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المَعَارِج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]،
 والصعود والعروج إلى العلو، وكذلك الرفع، وهكذا: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٤]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غَافِر: ٢]،
 ... إلى غير هذا، كلها من الطُّرُق الدالة على علوه وفوقيته ﷻ.



(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «والسنة مواضع غير الموضوع الذي ذكره؛ فهذه سبعة
 مواضع ستة غير الموضوع الذي بدأ به.

قال المؤلف رحمته الله:

«وفي الأحاديث الصَّحاح^(١) والحسان ما لا يحصى إلا بالكُلْفَة، مثل: قصة معراج الرسول إلى ربه^(٢)، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه^(٣)، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: «يعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم»^(٤). وفي الصحيح في حديث الخوارج: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً»^(٥).

قال المعلق رحمته الله:

قوله في الحديث: «من في السماء»، وفي قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنُكُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] عند أهل العلم يُفسَّر بوجهين:
أحدهما: أن (في) بمعنى (على)، فيكون معنى «في السماء» أي: على السماء.

والتفسير الثاني: أن تكون (السماء) بمعنى: العلو، وتكون

(١) قال سماحة الشيخ رحمته الله: «الصَّحاح بالكسر: جمع صحيح، يقال: صحيح وصِّحاح، أما كتاب الجوهر فيقال فيه: الصَّحاح والصَّحاح لغتان، أما هذا فالذي يظهر أنه بالكسر: صحيح وصِّحاح، مثل: عظيم وعظام، كريم وكرام، فعيل بمعنى فعال».

(٢) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٣٤٦)، ومسلم برقم: (١٦٣).

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٥٥٥)، ومسلم برقم: (٦٣٢).

(٥) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٤٣٥١)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

(في) - على بابها - ظرفية، وأن معنى (في السماء) أي: في العلو،
والمراد بالعلو هنا: ما فوق العرش.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وفي حديث الرُّقِيَّةَ الذي رواه أبو داود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء، تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ». قال رسول الله ﷺ: «إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء...» وذكره^(١). وقوله في حديث الأَوْعَال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما^(٢). وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها؛ فإنها مؤمنة»^(٣). وقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»^(٤). وقوله في حديث قبض الروح: «حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله»^(٥).

(١) رواه أبو داود برقم: (٢٨٩٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/١٣٩).

(٢) رواه أبو داود برقم: (٤٧٢٣)، والترمذي برقم: (٣٣٢٠)، وابن ماجه برقم: (١٩٣)، وأحمد برقم: (١٧٧٠)، من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. **قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:** «وقد حسن جماعة وله شواهد، وبعضهم أعلَّه؛ لأن الراوي عن الأحنف لم يسمع منه؛ ولكن معناه صحيح من حيث العلو والفوقية، وأنَّ الله مع عباده بعلمه ﷻ».

(٣) رواه مسلم برقم: (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٧٤٢٢)، ومسلم برقم: (٢٧٥١).

(٥) رواه ابن ماجه برقم: (٤٢٦٢)، وأحمد برقم: (٨٧٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقول عبد الله بن رَوَاحَةَ^(١) الذي أنشده للنبي ﷺ، وأقرّه عليه:
 شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
 وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٢)
 وقول أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ^(٣) الذي أنشد للنبي ﷺ هو
 وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: «أَمِنْ شِعْرِهِ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ»^(٤)، حيث
 قال:

مَجَّدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
 بِالْبَنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا
 شَرَجًا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ مَنْ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا
 وقوله في الحديث الذي في «المسند»: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ،
 يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٥)، وقوله في
 الحديث: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ»^(٦). إلى
 أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات

(١) هو عبد الله بن رَوَاحَةَ بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر،
 صحابي جليل، شهد بدرًا، وكان أحد الأمراء في غزوة مؤتة التي استشهد فيها
 سنة ثمان من الهجرة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٥).

(٢) ينظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٢٩٦).

(٣) هو أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، من شعراء
 الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهلك على الشرك سنة تسع من الهجرة.
 ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٤).

(٤) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٧).

(٥) رواه أبو داود برقم: (١٤٨٨)، والترمذي برقم: (٣٥٦٦)، وابن ماجه برقم:
 (٣٨٦٥) من حديث سلمان رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر: «سنده جيد». ينظر:

«فتح الباري» (١١/ ١٤٣).

(٦) رواه مسلم برقم: (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللفظية والمعنوية التي تُورث علمًا يقينًا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلّغ عن الله ألقى إلى أمّته المدعوين: أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته. ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع لبَلَّغ مئين أو أُلُوفًا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود: أن هذا كلّهُ واضح في أن الأدلة المتواترة والمستفيضة من السُّنة وعن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يؤيد ما في القرآن من علوّ الله وفوقيّته، مع أن نصّ القرآن كافٍ، ونصّ السُّنة كافٍ، ثم إجماع سلف الأمة، فقد اجتمعت في هذا الأصول كلها: القرآن، والسُّنة، والإجماع، كلها مجتمعة على إثبات علوّ الله فوق جميع خلقه، وأنه فوق العرش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعلمه في كل مكان. ثم يأتي هؤلاء الضالون الزنادقة من الجهمية والمعتزلة فينكرون هذا الأمر العظيم المتواتر المستفيض، هذا من أمحل المحال، وأضلّ الضلال، نسأل الله العافية.



[قول نفاة العلو ليس له مستند من الكتاب
والسنة ولا عن أحد من سلف الأمة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ لبلغ مئين أو ألوفاً، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة - لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف - حرف واحد يخالف ذلك لا نصّاً ولا ظاهراً^(١)، ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وكل هذه الأقوال من كلام أهل البدع كالجهمية، وهو كلام منكر باطل، يقتضي العدم، وأما السلف الصالح فقد طهَّروا الله من هذا، فقولهم واحد؛ وهو أن الله ﷻ في السماء - أي: في العلو - فوق جميع الخلق، وفوق العرش بذاته - بالنص - قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه الخلق في شيء من صفاته

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «النص: الذي لا يَحْتَمِلُ، والظاهر: الذي قد يؤوَّل».

جل وعلا، [وأنه يُشار إليه بالأصابع إلى العلوّ، وترفع الأيدي إليه ﷺ، وأنه فوق العالم جميعاً، وأنَّ السماء أقرب إليه من الأرض، وهكذا أهل السُّنة والجماعة يؤمنون بما جاء في النصوص على الوجه الذي جاء في النصوص من غير زيادة ولا نقصان، وإنما أهل البدع حَكَمُوا عقولهم فهلكوا].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«بل قد ثبت في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع^(١) حضره الرسول ﷺ، جعل يقول: «ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: اللهم اشهد» غير مرة^(٢). وأمثال ذلك كثير.

فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نصٌّ أو ظاهر في خلاف الحق؟! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلُّون عليه لا نصًّا ولا ظاهرًا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذا من سوء الظن بالله، ومن سوء الظن برسول الله؛ أن يكون الله ورسوله ﷺ كتما الحق، وإنما بيَّنه هؤلاء السفهاء الساقطون الضالُّون الهالكون من أرباب العقول الفاسدة، تبًّا لهم].



(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: [«أعظم مجمع أي: من حيث العدد، فقد اجتمع في يوم عرفة أكثر عدد اجتمع به النبي ﷺ، وأكثر من العدد الذي اجتمع به النبي ﷺ في المدينة وفي غير المدينة؛ لأنه قيل: إنهم بلغوا مائة ألف في حجة الوداع، وقيل: أكثر من ذلك»].

(٢) رواه مسلم برقم: (١٢١٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«حتى يجيء أنبأُ الفُرس والروم، وفُروخ اليهود والنصارى والفلاسفة؛ يُبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها؟! لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا؛ لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير؛ بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذا لازم قولهم؛ لأن الحق في خلاف الكتاب والسنة عندهم]، وبهذه الأسس يُعلم بطلان ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات والملحدين في ذلك، والله المستعان.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ﷻ، وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة؛ ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصنفوه به - سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن - وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصنفوه به».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وبهذا يتبين للمؤمن العاقل صاحب البصيرة: أن ما جاء به الكتاب والسنة ودرج عليه سلف الأمة هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو الهدى الذي ليس بعده إلا الضلال في إثبات أسماء الله وصفاته، وأنه فوق العرش جل وعلا، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأن ما قاله هؤلاء الضالون من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وأشباههم ممن حرّفوا وبدّلوا وغيّروا؛ أن هؤلاء هم المبطلون الضالون، وهم المنحرفون المتهوكون. نسأل الله السلامة.



[منهج النفاة في نفي الصفات]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم هم ههنا فريقان: أكثرهم يقولون: ما لم تثبت عقولكم فانفوه. ومنهم من يقول: بل توقّفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم - الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من أي اختلاف على وجه الأرض - فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا؛ فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، ويثبت ما لم تدركه عقولكم - على طريقة أكثرهم - فاعلموا أنني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه؛ لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووَخْشِي الألفاظ، وغرائب الكلام، وأن^(١) تسكتوا عنه مفوّضين علمه إلى الله، مع نفي دلالة على شيء من الصفات. هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيت صرّح بمعناه طائفة منهم^(٢)، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه، ومضمونه: أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات مَنْ أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول؛ بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما

(١) في نسخة: (أو أن).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/٣٥٧).

يتحاكم إليه مَنْ لا يؤمن بالأنبياء؛ كالبراهمة، والفلاسفة - وهم المشركون - والمجوس، وبعض الصابئين.

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شِدَّةً، ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٣﴾ [النساء: ٦٠-٦٢]. فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول - والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته^(١) - أعرضوا عن ذلك، وهم يقولون: إِنَّا قَصَدْنَا الْإِحْسَانَ عِلْمًا وعملاً بهذه الطريق التي سلكنها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

[أي: أنهم وافقوا وشابهوا أهل النفاق، نسأل الله العافية].



(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٨٤-١٨٥).

[مصادر شبهات نفاة الصفات]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل، إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً، ولا شفاء لما في الصدور ولا نوراً، ولا مردداً عند التنازع؛ لأننا نعلم بالاضطرار أن ما يقول هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده؛ لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دلّ الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السموات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ لقد أبعد النجعة، وهو إما مُلْغِز، وإما مُدْلِس، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[والله جل وعلا قال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، وقال: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ (إبراهيم: ٥٢)، وقال: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ (التوبة: ١١٥)، فقد أبان كل شيء. فعلى رأي هؤلاء الضالين الملحدين من أهل الكلام والفلسفة وأتباع اليهود والنصارى: أن هذا القرآن ما بيّن الحق، ولا أوضحه، وإنما عرّف الحق من أفكار هؤلاء وتكلفاتهم وتعسفاتهم، وما استنتجوه من أقوال غيرهم ممن سبقهم من الملاحدة، وهذا لا يشك من له أدنى بصيرة أنه من أبطل الباطل، وأضلّ الضلال، وأنّ كتاب الله فيه الهدى والنور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، فهو فيه البيان، وفيه النور، وفيه الهدى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت: ٤٤)، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، فمن تأمل القرآن عرّف أنه في جانب، وهؤلاء الضالون في جانب آخر، وليس بينهما صلة].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ولازم هذه المقالة: أن يكون تركُّ الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم؛ لأن مردِّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر - ولا أحد من سلف الأمة - : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه؛ ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها: فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه، وما لا فتوقَّفوا فيه أو انفوه؟».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه الكلمات التي قالها المؤلف واضحة في إبطال ما عليه أصحاب الكلام من الخوض في أسماء الله وصفاته وعظيم حقِّه جل وعلا بالباطل، وأنهم جعلوا عقولهم هي المقياس، فما فهمته عقولهم واستحسنته أثبتوه، وما لا نفوه أو توقَّفوا فيه، وهذا الذي قالوه في غاية الباطل والضلال، والبعد عن الحق.

وقد أوضح رَحِمَهُ اللهُ في هذا المقال غاية الإيضاح بطلان ما هم عليه؛ فإنهم في الحقيقة لم يلتفتوا إلى كتاب الله، ولا إلى سنة رسوله ﷺ، وإنما حَكَّموا عقولهم ومقاييسهم، وما نقلوه عمَّن قبلهم من صناديد الضلالة وزعماء الكفر من سائر الكفرة من صابئة ومجوس وغيرهم من الضَّالَّال، ثم حَكَّموا هذه العقول والآراء التي لا سند لها يُعْتَمَدُ عليه، وإنما هو استحسان فلان وفلان، فبأي عقل تُوزن هذه الأمور المختلفة؟! سبحان الله ما أعظم شأنه! فهذا هو الباطل، وهذا هو الضلال البعيد.

ولهذا أوضح المؤلف في هذا الكلام العظيم المتين المصيب بطلان ما هم عليه، وأن أصحاب الكلام في الحقيقة لم يُحَكِّمُوا كلام الله، ولا سنة رسوله ﷺ، وإنما حَكَّمُوا أهواءهم وآراءهم، وآراء مَنْ قبلهم من الضَّالِّين، وشابهوا بذلك الجاهلية فيما يفعلون من التحاكم إلى الكَهَنَةِ، وإلى غيرهم من صناديدهم وكبرائهم، ثم لا يزيدهم هذا إلا بُعْدًا وضلالًا، فقد يقتتلون ويتناحرون، ولا يقبلون عقل فلان ولا فلان، وهذه هي النتيجة التي فعلها هؤلاء؛ فقد اختلفوا وتنافروا فيما جاء به الكتاب والسُّنة؛ فهؤلاء مثَّلوا، وهؤلاء عَطَّلوا، وهؤلاء توقَّفوا وفوَّضوا، فصارت أقوالهم في غاية من الانحراف والضلال.

وأما أهل السُّنة والجماعة المتمسِّكون بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فهم الذين اهتموا إلى الصراط المستقيم، ووقفوا للحق، وصاروا يدًا واحدة، وجسدًا واحدًا، وبناءً واحدًا، في اتباع الحق والتمسُّك به، والردُّ على مَنْ خالفه.

ولازم قول هؤلاء الضالِّين: نسف الكتاب والسُّنة، وأن الكتاب والسُّنة لا محل لهما، وأن مجيئهما ما زاد هؤلاء إلا ضلالًا وفتنة وشبهة، وما زادهم خيرًا، فكفى بهذا المقال الذي يقتضي إبطال الكتاب والسُّنة قبْحًا، وكفى به ضلالًا وبُعْدًا عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به نبيُّه الكريم محمدًا عليه الصلاة والسلام.



[افتراق الأمة وبيان الفرقة النّاجية]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«ثم رسول الله ﷺ قد أخبر أن أُمَّته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة^(١)، فقد عَلِمَ ما سيكون، ثم قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تَضِلُّوا: كتاب الله»^(٢) وروي عنه أنه قال في صفة «الفرقة النّاجية»: «هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٣) فهلّا قال: مَنْ تمسّك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضالٌّ؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يُحْدِثُه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

والمقصود من هذا: أن الرسول ﷺ بيّن مثلما بيّن الله على

- (١) حديث افتراق الأمة رواه جمع من الصحابة، منهم أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢٣٠/٣): «أسانيدھا جياد». وينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٥).
- (٢) رواه مسلم برقم: (٢٤٠٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
- (٣) رواه الترمذي برقم: (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بلفظ: «ما أنا عليه وأصحابي». وحسّن الحافظ ابن حجر إسناده في «تخريج الكشاف» برقم: (١٧).

الأمة اتّباع الشرع، والتمسك به، ولهذا قال: «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». وهذه الواحدة هي التي ثبتت على الحق، والتزمت بالحق في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وقد جاء في الرواية الأخرى: «وهي الجماعة»^(١)، وفي رواية الترمذي: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فالفرقة الناجية هم أهل الاستقامة، وهم الذين تمسكوا بكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعظّمواهما، ووالوا وعادوا عليهما، ولو كان الحق في خلاف ذلك لبين وقال: إنما الحق فيما ترونه بعقولكم، أو فيما يراه أشياخكم بعقولهم، أو ما أشبه ذلك، فدلّ ذلك على أنّ ما افتروه من الكذب الذي هو تحكيم العقول، وتقديم الآراء؛ هو من أبطل الباطل، وأضلّ الضلال.



(١) رواه أبو داود برقم: (٤٥٩٧)، وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه (٣٩٩٣)، وأحمد برقم: (١٦٩٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وصححه الحاكم في «المستدرک» برقم: (٤٤٣).

[أصل مقالة تعطيل الصفات]

قال المؤلف رحمه الله:

«ثم أصل هذه المقالة - مقالة تعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين؛ فإنَّ أول مَنْ حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني: أن الله ﷻ ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى: استولى، ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم^(١)، وأخذها عنه الجهم بن صفوان^(٢) وأظهرها، فنُسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم^(٣) اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ^(٤)».

وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حرَّان، وكان

(١) هو الجعد بن درهم مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، فقتله خالد بن عبد الله القسري في الكوفة سنة (١٢٤هـ) بسبب مقالته هذه. ينظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠).

(٢) هو الجهم بن صفوان، رأس الجهمية، وإليه تنسب هذه الفرقة، ضال مبتدع، ضرب في كل بدعة بسهم، قتل سنة (١٢٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

(٣) لبيد بن الأعصم من بني زريق، كان منافقاً حليفاً لليهود، وكان ساحراً حاذقاً، وهو من سحر النبي ﷺ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣).

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري برقم: (٥٧٦٣)، ومسلم برقم: (٢١٨٩).

فيهم خَلَقَ كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين الذين صَنَّفَ بعض المتأخرين في سحرهم، ونمرود هو ملك الصابئة الكَلْدَانِيَّينَ المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وبَطْلَيْمُوسَ ملك اليونان، وقيصر ملك الروم؛ فهو اسم جنس لا اسم علم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[أي: أنه اسم جنس لمن تولَّى في هذه الجهات وهو كافر، يقال له هذه الأسماء، وفرعون لمصر، والنمرود للصابئة، وبَطْلَيْمُوسَ لليونان، وقيصر للروم، وكسرى لفارس، والنجاشي للحبشة.. وهكذا، فهذه أسماء جنس، وليست أعلامًا على أشخاص مُعَيَّنِينَ].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فكانت الصابئة - إلا قليلاً منهم - إذ ذاك على الشرك، وعلمائهم هم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركاً؛ بل مؤمناً بالله واليوم الآخر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا: أن هؤلاء وأشباههم وإن كان أصلهم الذم، وأنهم من عبّاد الأوثان، وعبّاد النجوم، وعبّاد الأصنام، مثل: الصابئة الذين يرأسهم النمروذ بن كنعان^(١) المعروف، وهكذا غيرهم من الكفرة من الروم والمجوس والحبشة وغيرهم من أصناف الكفرة؛ كل هؤلاء إذا دخلوا في دين الله وهداهم الله؛ خرجوا عما هم عليه من الباطل، وصاروا مع المؤمنين، ودخلوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩]. فهم مذمومون وكفرة وملعونون، ويجب قتالهم وجهادهم؛ لكن من دخل منهم في

(١) هو النمروذ بن كنعان، كان طاغية جباراً، وهو الذي ناظر إبراهيم وحاجّه في ربه، كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة (٢٥٨)، وكان هلاكه بسبب بعوض سلّطه الله عليه، دخل في منخره ومكث مدّة يعذب به ثم هلك. ينظر: «البداية والنهاية» (١/١٤٨-١٤٩).

الإسلام، وخرج عن دينه أسلافه وآبائه؛ فقد خرج عن ذلك الذم، وذلك الكفر، وصار مع إخوانه المؤمنين ممن عفا الله ﷻ عنهم؛ فإن الأحكام تدور مع عللها وأوصافها، فمن تخلّق بالباطل واتّصف به؛ فهو مع أهل الباطل، ومن خرج عن ذلك، وتاب إلى الله، واستقام على دينه؛ صار مع أهل الإيمان والهدى، ولم يضره كونه من الصابئين أو كونه من اليهود أو كونه من المجوس أو من غيرهم، لا يضره ذلك، فمتى تاب إلى الله وخرج عما هو عليه من الباطل إلى الحق؛ صار من عباد الله المقربين، ولم يضره أصله.

[والخلاصة: أنه إذا جاء الذمّ فإنما ينصرف إلى من كفر منهم، فكل ما جاء الذمّ في هذه النصوص فالمراد به: ذم اليهود والنصارى والصابئين الذين بقوا على كفرهم، وأما من أسلم فقد خرج عن هذا الذم].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين، كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدّلوا وحرّفوا وصاروا كفاراً أو مشركين، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفاراً أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب، وبينون لها الهياكل».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[قوله: «كفاراً أو مشركين»: كل كافر فهو مشرك، وكل مشرك فهو كافر يعني: في عرف الإسلام؛ لكن يغلب على مَنْ كان كفره بالجحد والكتم: «اسم الكفر»، ويغلب على مَنْ كان كفره بدعوة الأوثان والأصنام والاستغاثة بها ونحو ذلك: «اسم الشرك»؛ ككفار قريش وأشباههم، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]، فسماهم كفاراً كلهم، ثم فصلهم إلى «أهل الكتاب» و«المشركين»، وإلا فكل كافر مشرك، وكل مشرك كافر؛ لأن الكافر الذي أطاع هواه وجحد الحق؛ هو عابد لهواه، ومشرك في طاعة هواه بجحد الحق، ولكن يغلب على مَنْ كفر بجحد أو سب أو نحو ذلك: «اسم الكفر»، ويغلب على مَنْ كفر بدعوة غير الله، والاستغاثة بغير الله، والتعبد بغير الله: «اسم الشرك»].



[مذهب النفاة من الصابئين في صفات الله]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب سبحانه: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منها، وهم الذين بُعِثَ إبراهيم الخليل ﷺ إليهم، فيكون الجَعْدُ قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة، وكذلك أبو نصر الفَارَابِي^(١) دخل حَرَّانَ وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجَهْمُ أيضًا - فيما ذكره الإمام أحمد وغيره^(٢) - لما ناظر «السَّمْنِيَّة» بعض فلاسفة الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحِسِّيَّات - فهذه أسانيد جَهْمٍ ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين، وإما من المشركين.

ثم لما عُرِّبَت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضُّلَّال ابتداءً من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم. ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها: «مقالة الجهمية»؛ بسبب بِشْرِ

(١) هو أبو نصر الفارابي الفيلسوف المنطقي، يسمَّى المعلِّم الثاني - كما أن أرسطو يسمي المعلِّم الأول - توفي سنة (٢٥٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤١٦).

(٢) ينظر: «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد (ص ١٠٢-١٠٤).

بن غِيَاث المريسي^(١) وطبقته، وكلام الأئمة - مثل: مالك، وسفيان بن عُيَيْنَةَ^(٢)، وابن المبارك^(٣)، وأبي يوسف^(٤)، والشافعي، وأحمد، وإسحاق^(٥)، والفضيل بن عياض^(٦)، وبِشْر الحَافِي^(٧)، وغيرهم - كثير في ذمهم وتضليلهم.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس - مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فُورْكَ^(٨) في كتاب: «التأويلات»،

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة البغدادي المريسي، المتكلم المبتدع، كفره عدد من أهل العلم، ولُقِّب بـ(بشر الشر)، هلك سنة (٢١٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٧/١٠).

قال سماحة الشيخ كَلَّاب: «يقال: المريسي والمريسي بالتشديد والتخفيف، نسبة إلى قرية في مصر».

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الحافظ، كان صاحب سنة واتباع، (١٠٧هـ - ١٩٨هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٤٩٧/٥).

(٣) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، جمع بين العلم والجهاد والتجارة، له تصانيف كثيرة (١١٨هـ - ١٨١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨).

(٤) هو يعقوب بن إبراهيم بن أبي حبيب أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة، وأول من نشر علمه، توفي سنة (١٨٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٥/٨).

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي المعروف بابن راهويه، أحد الأئمة الحفاظ، (١٦١هـ - ٢٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٨/١١).

(٦) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام الزاهد، وإليه المنتهى في الزهد، توفي سنة: (١٧٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٣/٧).

(٧) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المشهور بالحافي، إمام محدث زاهد، (١٥٢هـ - ٢٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٨).

(٨) هو محمد بن الحسن بن فورك، أشعري متكلم، قتله محمود بن سبكتكين سنة (٤٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٤/١٣).

وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي^(١) في كتابه الذي سمّاه: «تأسيس التقديس»، ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء، مثل: أبي علي الجُبائي^(٢)، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني^(٣)، وأبي الحسين البصري^(٤)، وأبي الوفاء بن عَقِيل^(٥)، وأبي حامد الغزالي^(٦)، وغيرهم - هي بعينها تأويلات بِشْرِ المريسي التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد «التأويل» وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسن في أشياء، فإنما بيّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بِشْرِ المريسي.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أنهم تناقلوها وتوارثوها [وتلقَّوها عن أولئك، وربما زاد

- (١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن علي، المشهور بفخر الدِّين الرازي، درس الفلسفة والفقه وعلم الكلام، شافعي الفروع، أشعري الأصول، وقيل: إنه رجع إلى مذهب السلف في آخر حياته، (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠).
- (٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام البصري، أحد أئمة المعتزلة، توفي سنة (٣٠٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧).
- (٣) هو عبد الجبار بن أحمد بن خليل المشهور بالقاضي عبد الجبار، من أئمة المعتزلة، توفي سنة (٤١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤).
- (٤) هو محمد بن علي بن الطيب، شيخ المعتزلة والمنتصر لهم، وأحد أئمة علم الكلام، توفي سنة (٤٣٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٧).
- (٥) هو علي بن عَقِيل بن محمد البغدادي، حنبلي متكلم، عنده تأويل لبعض الصفات، توفي سنة (٤١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣).
- (٦) هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، أحد كبار أئمة الأشاعرة، كثر حوله الكلام ما بين مباح وذام له، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

بعضهم أشياء، وحذف بعضهم أشياء، ولكنهم ورثوها عن السابقين من الضالّين]، وهكذا من بعدهم، فشبهات المشركين الأولين وشبهات الجهمية والمعتزلة تناقلها من بعدهم وتوارثوها وشبّوها بها. والعصمة - كما تقدّم - في التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والحذر من هذه التأويلات والشبهات التي أوردتها هؤلاء، وشبّوها بها على الناس، حتى ضلّ بها كثير من الناس، والواجب هو ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام من وجوب إثبات صفات الله وأسمائه، وإمرارها - كما جاءت في القرآن العظيم، والسنة المطهّرة - على الوجه اللائق بالله ﷻ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل على مقتضى قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فجميع صفاته سبحانه لا يشابه بها خلقه، بل هو منزّه عن مشابهة خلقه، وهي حق، ثبتت له سبحانه على وجه الكمال الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، خلافاً لما تأوّلته الجهمية وأشباههم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صَنَّفَه عثمان بن سعيد الدَّارِمِي^(١)؛ أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صنف كتاباً سَمَّاه: «نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بِشْرِ المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها^(٢)، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي عَلم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبيَّن له ظهور الحُجَّة لطريقهم، وضعف حُجَّة مَنْ خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذمِّ المريسية، وأكثرهم كَفَرُوهم أو ضَلَّلُوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي؛ تبيَّن الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وما ذاك إلا لأن هؤلاء تكَلَّموا بكلام يخالف نصَّ كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ فلهذا كَفَرُوهم أكثر الأئمة وضَلَّلُوهم وبدَّعوهم، وهم الجهمية نفاة الصفات والأسماء، ولهذا كتب فيهم الأئمة كعثمان بن سعيد الدَّارِمِي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ممن كتب في

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، الإمام العلامة، كان قذى في عيون المبتدعة، حسن المناظرة، حاضر الحجة، توفي سنة (٢٨٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤٧/٩).

(٢) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «أقعد بها أي: أعلم بها».

هذا الباب؛ للرد على هؤلاء المجرمين، والمقصود من هذا: النصح
لله ولعباده، وبيان ما أبطلوا فيه، وما وقعوا فيه من الفساد الذي
ضللوا به الناس.



قال المؤلف رحمه الله:

«والفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب، وإنما أُشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعامل يسبر^(١) وينظر.

[بعض الكتب التي عنت بنقل مذهب السلف]

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هاهنا إلا قليلاً منه، مثل: كتاب «السنن» للالكائي^(٢) و«الإبانة» لابن بطة^(٣) و«السنة» لأبي ذر الهروي^(٤) و«الأصول» لأبي عمر الطلمنكي^(٥)، وكلام أبي عمر بن عبد البر^(٦) و«الأسماء والصفات» للبيهقي^(٧)، وقبل ذلك «السنة» للطبراني^(٨) ولأبي الشيخ الأصبهاني^(٩)

- (١) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «يسبر بالباء أي: يسبر الأشياء ويتأملها ويتدبرها».
- (٢) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، له عدة مؤلفات، توفي سنة (٤١٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ١٣٦).
- (٣) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن بطة، كان ذا عبادة وزهد، وأكثر الترحال في طلب العلم، (٣٠٤هـ - ٣٧٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٢٩).
- (٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمد الأنصاري الهروي، مالكي الفروع، أشعري الأصول، (٣٥٥هـ - ٤٣٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٢).
- (٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، من أئمة المالكية، توفي سنة (٤٢٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٩).
- (٦) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، حافظ المغرب، وصاحب التصانيف الكثير المشهورة، توفي سنة (٤٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٥٧).
- (٧) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الفقيه، له العديد من المصنفات، (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ١١٩).
- (٨) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، إمام حافظ ثقة، (٢٦٠هـ - ٣٦٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٢ / ٢٠١).
- (٩) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، صاحب سنة واتباع، (٢٧٤هـ - ٣٦٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٣٢٨).

ولأبي عبد الله بن مَنَدَه^(١) ولأبي أحمد العَسَّال^(٢) الأصبهانيين، وقبل ذلك «السُّنة» للحَلَّال^(٣) و«التوحيد» لابن خُزَيْمَةَ^(٤) وكلام أبي العباس بن سُرَيْج^(٥) و«الرد على الجهمية» لجماعة مثل: البخاري، وشيخه عبد الله بن محمد بن عبد الله الجُعْفِي^(٦) وقبل ذلك «السُّنة» لعبد الله بن أحمد^(٧) و«السُّنة» لأبي بكر بن الأثرم^(٨) و«السُّنة» لحَنْبَل^(٩) وللمروزي^(١٠)

- (١) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، الحافظ المحدث، رَحَّالة زمانه، (٣١٠هـ - ٣٩٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٥/١٩).
- (٢) هو أبو أحمد محمد بن أحمد الأصبهاني، أحد أئمة الحديث، حافظ متقن، توفي سنة (٣٤٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٩).
- (٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الحَلَّال، شيخ الحنابلة وعالمهم، (٢٣٤هـ - ٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧).
- (٤) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، (٢٢٣هـ - ٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٥).
- (٥) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي، توفي سنة (٣٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١).
- (٦) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي، ثقة حافظ، توفي سنة (٢٢٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٧).
- (٧) عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، ثقة ثبت، أروى الناس عن أبيه، توفي سنة (٢٩٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٩).
- (٨) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ، صاحب الإمام أحمد، فقيه حافظ، توفي سنة (٢٧٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٠).
- (٩) هو أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، توفي سنة (٢٧٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١).
- (١٠) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي، صاحب الإمام أحمد، توفي سنة (٢٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٩).

ولأبي داود السجستاني^(١) ولا بن أبي شيبه^(٢) «السُّنة» لأبي بكر بن أبي عاصم^(٣) وكتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري، وكتاب «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم، وكلام أبي العباس عبد العزيز المكي^(٤) صاحب «الحيدة» في الرد على الجهمية، وكلام نعيم بن حماد الخزاعي^(٥) وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن يحيى النيسابوري^(٦) وأمثالهم، وقبل ذلك لعبد الله بن المبارك وأمثاله، وأشياء كثيرة.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

فكل هؤلاء تكلموا في الرد على الجهمية والمعتزلة، ومن خرج عن الطريق من أصناف أهل البدع، وهم ما فعلوا هذا بقصد الغيبة أو التشفي، وإنما بقصد: النصح لله ولعباده، وبيان هذه الضلالات؛ حتى يحذرها الناس.

- (١) هو سليمان بن الأشعث بن شداد، الإمام المحدث صاحب السنن، توفي سنة (٢٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٠٣).
- (٢) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، أحد الأئمة الكبار من أقران أحمد، توفي سنة (٢٣٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٠٣).
- (٣) هو أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني البصري، إمام فقيه، وورع صالح، (٢٠٦هـ - ٢٨٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٣٠).
- (٤) هو عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي الشافعي، توفي سنة (٢٤٠هـ). ينظر: طبقات الشافعية (٢ / ١٤٤).
- (٥) هو نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي، توفي سنة (٢٢٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٩٧).
- (٦) هو يحيى بن يحيى النيسابوري، كان حافظاً مجوداً، وكان يثني عليه الإمام أحمد كثيراً، (١٤٢هـ - ٢٢٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٨٤).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره. وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة؛ ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكره من الشُّبه فإنه يسير».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[ثم الشُّبه قد تورث حيرة وشكًا فلا حاجة إليها، وإنما يحتاج إليها من يريد إزالتها عن الناس الذين قد تلبس عليهم، ويكفي المؤمن أن يعرف الأدلة الشرعية، ويتمسك بها، ويعض عليها بالنواجذ، ويتبعد عن كلام المشبهين وقراءة كتبهم؛ فإن قراءة كتب المشبهة والمنحرفين قد تدخل على بعض الناس شيئًا في قلبه يصعب عليه خروجه، فينبغي الإعراض عن كتبهم، وعدم قراءتها بالكلية، فشبهاتهم باطلة، والحق واضح في كتاب الله، وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ في بيان أسماء الله وصفاته، وإثباتها لله على الوجه اللائق به، وليس بنا حاجة إلى تأويل المتأولين، وإلحاد الملحدين، وضلال الضالين، وشبهاتهم التي جمعوها من كتب اليهود والفلاسفة وأشباههم من الملحدين؛ لكن من أعانه الله على كشفها وردها لإقامة الحُجّة، وكشف الشُّبهة؛ فهذا من الجهاد العظيم، ولكن المؤمن وطالب العلم في غُنية عن ذلك، حتى لا يقع في قلبه شيء مما يقولون، فيعجز عن رده].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ومقصوده رَحِمَهُ اللهُ: أنه يكفي في ردّ هذه الشُّبه - التي شَبَّهوا بها على أهل السُّنة - أنها مأخوذة عن الصابئة والمشرّكين واليهود، فكيف يرضى عاقل أن يأخذ سبيلهم، ويسلك منهجهم، ويدع سبيل المؤمنين أتباع الرسول ﷺ وأتباع الصحابة؟ فكل عاقل يكفيه هذا، من غير حاجة إلى أن ينظر فيها، ما دامت من سبيل الضالين والمغضوب عليهم؛ فهذا كافٍ في ردّها وإبطالها وتعطيلها، مع أنّ ردّها وإبطالها من أوضح الواضحات عند أهل الحق.



[القول الشامل في مذهب السلف في باب الأسماء والصفات]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«فصل: ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لا يتجاوز القرآن والحديث»^(١)»^(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

[قوله: «وبما وصفه به السابقون الأولون» أي: الصحابة وَمَنْ بعدهم، فمعهم حُجَّةٌ قطعية؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذا وعده للسابقين الأولين؛ لأنهم على الحق، وَمَنْ خالفهم من الجهمية والمعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من صنوف المبتدعة فكلهم على الضلال].



(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا ينبغي لأحد أن يتجاوزهما».

(٢) رواه ابن بطه في «الإبانة» (٢٥٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء؛ لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[أي: ثابتة موجودة في الخارج، فكما أن له ﷻ ذاتاً موجودة فوق العرش، فكذلك له صفات موجودة ثابتة، علم، وقدرة، ورضا، وغضب، وضحك، ورحمة، ويد، إلى غير ذلك من صفاته سبحانه، فكلها ثابتة موجودة. فهو يغضب، ويرضى، ويكره، ويسخط، ويضحك إذا شاء، ويتكلم إذا شاء، وكلها صفات حق ثابتة له ﷻ، وليست من جنس صفات المخلوقين، كما أن ذاته وأفعاله ليست من جنس أفعال المخلوقين ولا ذوات المخلوقين، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الأنعام: ١١) [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤)، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مریم: ٦٥).

؟ | الأسئلة:

[■ سؤال: هل الذات هي النَّفْس؟]

● **الجواب:** نعم، ذاته: نفسه، كما قال تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. وإثبات الذات ورد فيها أحاديث صحيحة، كما في الحديث الصحيح في الصحيحين: «ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، كلهن في ذات الله»^(١)، وغيره من الأحاديث.



(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٣٣٥٧) (٣٣٥٨)، ومسلم برقم: (٢٣٧١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً؛ فإنَّ الله منزَّه عنه حقيقة، فإنَّه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المُحدث إلى مُحدث، ولوجوب وجوده بنفسه ﷻ».

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثِّلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثِّلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيعظِّلون أسماء الحسنى، وصفاته العليا، ويحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[فأهل السُّنة وسط بين النفاة وبين المشبِّهة، فأثبتوا إثباتاً بلا تمثيل، ونزَّهوا الله عن مشابهة خلقه تنزيهاً بلا تعطيل، والجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأشباههم نزَّهوا تنزيهاً فيه تعطيل وتشبيه الله بالجمادات ونحو ذلك، ولا سيما الجهمية والمعتزلة. والمشبِّهة شبَّهوا الله بخلقهم؛ فجعلوا وجهه كوجه خلقه، ويده كيد خلقه، وعلمه كعلم خلقه، وهكذا، وأهل السُّنة والجماعة توسَّطوا فقالوا الحق؛ فأثبتوا لله صفاته وأسماءه وأفعاله على وجه لا يكون فيه مشابهاً للخلق ﷻ؛ فإنَّ صفات الخلق ناقصة، ويعتريها العدم والفساد، أما صفاته سبحانه ففيها الكمال، ولا يعتريها الفساد والنقص بوجه من الوجوه، وذاته الحق ثابتة لا يعتريها موت ولا مرض ولا غير ذلك، فشتان بين هذا وهذا].

أهل السُّنة والجماعة ليسوا مع أهل التعطيل، ولا مع أهل التمثيل، بل هم بين هؤلاء وهؤلاء، لا مع المعطلة ولا مع الممثلة، ولكنهم يثبتون صفات الله وأسماءه، كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فكما أنهم يثبتون ذاته على وجه لا تُشبه الذوات، فهكذا يثبتون صفاته على وجه لا تُشبه الصفات، هكذا أهل السُّنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم؛ فإنهم قبلوا النصوص، وأثبتوا ما دلَّت عليه، وأنه حق، ونفوا عنها التشبيه والتمثيل؛ عملاً بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أما أهل التعطيل وأهل التمثيل فكلهم انحرفوا عن الطريق، وحادوا عن سواء السبيل، فليسوا مع أهل السُّنة والجماعة في إثبات ولا في تنزيه، بل عطَّلوا آيات الله، وعطَّلوا أسماء وصفاته، وشبَّهوا الله بخلقه، وحادوا عن سواء السبيل، فصاروا بذلك ملاحدة ضالين عن الحق، قد أخطئوا السبيل، وخالفوا ما جاءت به النصوص، فلهذا عابهم أهل السُّنة، ونفَّروا منهم، وصاحوا بهم من كل مكان، وحذَّروا الناس من سبيلهم الرديء.



[بيان أن التعطيل تمثيل وتمثيل تعطيل]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«وكل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل؛ أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شَرَعُوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثَّلُوا أولاً وعَطَّلُوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

والمعنى: أنهم أُتُوا من فهمهم الرديء؛ فإنهم ما فهموا من النصوص إلا التشبيه لأسماء الله وصفاته بالخلق، فلهذا عَطَّلُوا ونفوا الصفات، فلم يفهموا من اسمه بأنه السميع والبصير والعليم والحكيم والقدير، ولم يفهموا من وصفه بالوجه واليد ونحو ذلك؛ إلا مشابهة المخلوقين، فأتوا من هذا السبيل، وأتوا من فهمهم الباطل، ثم فرُّوا من هذا التشبيه - بزعمهم - ووقعوا في تشبيه وتمثيل أقبح؛ حتى شَبَّهُوا الله بالمعدومات والجمادات والناقصات، فصار تشبيههم الأخير هذا أشد من التشبيه الذي فرُّوا منه، ولهذا صاروا في غاية من البطلان، وهذه سنة الله في أهل الباطل: ما فرُّوا من شيء إلا وقعوا في أبطل منه، وأشر منه. نسأل الله العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص به؛ فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم من سائر الأجسام».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[ولأنه سبحانه هو المقيم للعرش، وهو المثبت له، وهو ﷻ غني عنه، أنه فوقه، ويكفينا الإيمان بأنه ﷻ فوقه وعليه من غير حاجة إلى تفصيل لا دليل عليه].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جَوْهَرًا أو عَرَضًا وكلاهما مُحالٌ؛ إذ لا يعقل موجود إلا هذان. وقوله: إذا كان مستويًا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثل، وكليهما عَطْلٌ حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتناز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتناز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

[القول الفصل في استواء الله سبحانه]

والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذا هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الواجب، ولهذا دَرَجَ أهل السُّنة على ذلك؛ فأثبتوا لله العلو والاستواء فوق العرش على الوجه اللائق به، من دون أن يشابه خلقه في استوائهم على سطوحهم أو على أفلاك سيرهم أو نحو ذلك.

وهكذا وصفه بأنه سميع، وبأنه بصير، وبأنه عليم، وبأنه قدير، لا يلزم منه مشابهة المخلوقين؛ فإنَّ علم المخلوقين يعتريه الجهل، ويعتريه النسيان، وهكذا قدرتهم يعتريها الضعف والعجز، وهكذا

سمعهم يعتريه الصَّمَم، وهكذا بصرهم يعتريه العمى والضعف. أما سمع الله وبصره ﷻ فهو كامل لا يعتريه شيء، وهكذا علمه ملازم لذاته، فهو عالم بكل شيء دائماً، ولا يعتري هذا العلم نسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤)، ولا يعتريه سبحانه جهل، بل هو العالم بكل شيء. وهكذا قدرته كاملة لا يعتريها شيء من النقص، بخلاف المخلوقين فإنهم محل نقص أولاً وآخرًا.

[وهذا حق، وهذا هو قول أهل الحق والفصل؛ لأن القاعدة: أن قول أهل الحق وسط بين طرفي الضلالة، فالناس بين غلو وجفاء، فمن شبه الله بخلقه فقد غلا في الإثبات، ومن نفى صفات الله فقد غلا في التنزيه، والحق الوسط؛ وهو إثبات الصفات كما جاءت عن الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فلا مع الجفافة الذين عطلوا الله من صفاته، ولا مع الغلاة الذين شبهوا الله بخلقه، ولكنه الوسط؛ أن يثبتوا أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله إثباتاً بلا تمثيل، وينزهوا الله جل وعلا عن مشابهة خلقه تنزيهاً بلا تعطيل، فالجهمية وأشباههم نزّهونه تنزيهاً معناه: تعطيل الصفات ونفيها، والمشبهة أثبتوا إثباتاً زائداً حتى شبهوا الله بخلقه، فكلتا الطائفتين قد ضلّتا، وكلا الطرفين باطل، والوسط هو ما عليه سلف الأمة، وهم أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان؛ وهو إثبات ما دلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله ﷻ، من دون إفراط في الإثبات، ولا إفراط في التنزيه، ولكن يمرونها كما جاءت، ويقرون معانيها ويؤمنون بها، وأنها حق، وأنه سبحانه في جميع صفاته وفي جميع أفعاله لا يشابه خلقه، كما لا يشابههم في

ذاته ﷻ، فهو عليم وسميع وقدير، ولا يعترى هذه الصفات ما يعترى صفات المخلوقين، فالمخلوق يعلم ثم ينسى، ويعلم ثم يجهل، ويقدر ثم يعجز، فهو قادر اليوم وعاجز غداً، وهو صحيح اليوم مريض غداً، أما علم الله فهو مستمر أبداً، لا يجهل أبداً، ولا ينسى أبداً: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] ﷻ، وهو سميع سمعه أبد الآباد هو يسمع، أما المخلوق فيعتريه ما يعتريه، فالיום هو سميع وغداً يضعف سمعه أو يُعَدَم، فليس هناك شيء متيقن الثبوت، بل يعتريه ما يعتريه، ثم الموت بعد ذلك.

وهكذا جميع الصفات التي لله سبحانه، لا يشابه فيها خلقه جل وعلا، وهكذا كونه فوق العرش، وكونه فوق السماء فوق العلو ما يلزم من ذلك أنه لو زال العرش سقط تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فهو الذي أمسك العرش، وهو الذي أمسك السموات: ﴿وَمَنْ عَالِمُ غَيْبَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي الْمَلَائِكَةُ خُذَعْنَ عَنْ عُرْسِهِ بِإِذْنِهِ وَرَبُّ الْمَلَائِكَةِ الْكُنُوزِ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، فهو سبحانه الذي أمسك الجميع، بخلاف المخلوق؛ فإنه إذا جلس على الكرسي ثم زال الكرسي سقط، وإذا جلس على السطح ثم سقط السطح سقط أيضاً؛ لأنه مسكين ضعيف، لا يملك لنفسه شيئاً إلا ما ملكه الله إياه، فصفات الله غير صفات المخلوقين، فصفات الله لها الكمال الكامل المنزه عن كل نقص، وصفات المخلوقين لها النقص].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«واعلم أنه ليس في العقل الصريح، ولا في شيء من النقل الصحيح؛ ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلاً، لكن هذا الموضوع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلّها فذلك سهل يسير».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «فذلك سهل يسير» يعني: حل الشبهة، فإنه إذا تدبّر القرآن وأراد الحق؛ فإن شبهه كلها تزول، ويكفيه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص: ١-٤] فإنها تقضي على شبهه كلها. وكذا قوله جل وعلا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥) [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦) [مريم: ٦٥].

فمن تدبّر القرآن ونظر فيه بعين البصيرة، وطلب الحق؛ هداه الله طريق الحق، وإنما أتى أولئك بإعراضهم عن القرآن والسنة، وبتحكيمة عقولهم، وتقليدهم لأهل الضلالة، فهلكوا كما هلك من قلّدوه.



[اضطراب أهل التأويل المخالفين للسلف]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

«في أمر مريج» يعني: في أمر مختلف مضطرب، لما خالفوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة؛ اضطربوا واختلفوا وتنوعت آراؤهم، وهكذا أهل الباطل، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ [ق: ٥]، يعني: في أمر مختلف مضطرب، عَمِيَ عليهم فيه الحق؛ بسبب إعراضهم عن الأدلة الشرعية، فوقعوا في الاختلاف والاضطراب.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فإنَّ مَنْ يُنكر الرؤية يزعم أنَّ العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، وَمَنْ يُحِيل أنَّ لله علماً وقدره، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك؛ يقول: إنَّ العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل مَنْ ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أنَّ العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، وَمَنْ يزعم أنَّ الله ليس فوق العرش يزعم أنَّ العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: اضطربت عقولهم وأفهامهم لَمَّا أعرضوا عن الحق، فكل طائفة تزعم أنَّ العقل أحالَ الحقَّ الذي أنكرته، فصاروا بهذا ضالين مُضِلِّين مجرمين؛ لأنهم عدلوا عن الحق والصراط المستقيم إلى آرائهم وعقولهم. وعلى أيِّ عقل يوزن الكتاب والسُّنة؟ وبأيِّ عقل؟ فإنَّ العقول مضطربة ومختلفة؛ فيها السَّقِيم، وفيها الصحيح، وفيها المختلط، فليست ميزاناً، وإنما الميزان ما قاله الله ورسوله، فَمَنْ حاد عن هذا الميزان اضطرب ووقع في الفساد.

[فدعاة الباطل حَكَّمُوا عقولهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ فصاروا إلى الهلاك السرمدي، والبلاء الذي لا نهاية له؛ لأنهم عدلوا عن الطريق الصواب، وعن الصراط المستقيم، إلى تحكيم عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة التي ليس عندها من العلم إلا الشيء اليسير الذي أعطاهم الله إياه، فتركوا الأمر المقطوع به، والعلم الصحيح الذي قامت عليه الدلائل والمعجزات، إلى عقول فاسدة، وآراء كاسدة، حَكَّموها في النقول، وحَكَّموها فيما جاءت به الرسل؛ فضلُّوا وأضلُّوا].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ

«ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل؛ بل منهم مَنْ يزعم أن العقل جَوَز وأوجب ما ادَّعى الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأيِّ عقل يُوزن الكتاب والسُّنة؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[والمعنى: أن عقولهم متفاوتة مختلفة، فعلى أي عقل يوزن الكتاب والسُّنة؟ هل على عقل الجهمية أم عقل المعتزلة أم عقل بشر المريسي فق عقل الجهم بن صفوان فق عقل ابن سينا؟ على أي عقل يوزن؟ كلها عقول متضاربة، يهدم بعضها بعضاً، ويضلل بعضها بعضاً، فلا طريق إلى العصمة والسلامة والاستقامة والهدى والفلاح إلا ما جاء به الكتاب والسُّنة، وما دل عليه كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو الذي به النجاة والعصمة؛ لأنه صدر من الحق ﷺ الذي لا يقول إلا الحق، وصدر من رسوله الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، فوجب التمسك بذلك، والاستقامة عليه، كما قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذا «الصراط» يعمُّ الأقوال، والأعمال، والعقائد، ويعم كل شيء، فكل ما جاء به الكتاب والسُّنة من عقيدة أو قول أو عمل فهو من الصراط المستقيم، وأنه يجب على الأمة أن تلتزم به، وأن تستقيم عليه، وأن تحذر السُّبل الأخرى التي تخالفه وتحيد عنه، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٥٦﴾ [هُود: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٦-٧]، وقال في نبيّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، والصراط: الطريق الواضح الذي ليس فيه اعوجاج، بل هو واضح.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء»^(١)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أن جدلهم لا ينتهي، فهذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا، مما يُملِي عليهم الشيطان، فليس لأحد أن يميل إلى هؤلاء فيدع ما جاء به الرسول ﷺ مما تلقاه عن الله بواسطة جبرائيل عليه الصلاة والسلام، بل يجب التمسُّك بما جاء عن الله ورسوله، وما استقرت عليه الأسانيد الصحيحة، وما دل عليه كتاب الله، ولا يلتفت إلى جدال مَنْ جادل، وإلى تأويل مَنْ أوَّل، وإلى خصومة مَنْ خاصم، بل يرد عليهم بالكتاب والسُّنة عن سماع أقوالهم، ويبين باطلهم حتى يحذرهم الناس. ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ - الَّذِينَ يَرُوجُّونَ الْكَلَامَ، وَيَحْكُمُونَ الْعُقُولَ - أَنْ يَضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَأَنْ يُطَافَ بِهِمْ فِي الْعِشَائِرِ وَالْقِبَائِلِ، وَيَقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَحَكَّمَ الْعَقْلَ» أو قال: «وأخذ بالكلام»^(٢).



(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٢٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/١١٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٩).

[أوجه الرد على من حَكَّم العقل وترك الشرع]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

أحدها: بيان أن العقل لا يُحيل ذلك.

والثاني: أن النصوص الواردة لا تحتل التأويل.

والثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلِمَ أن الرسول ﷺ جاء بها

بالاضطرار، كما أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان،
فالتأويل الذي يُحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية في
الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوة.

الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به

النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن
إدراك التفصيل، وإنما يعلمه مجملًا، إلى غير ذلك من الوجوه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

[وقد أَلَفَ المؤلف كتابًا في موافقة العقل الصريح للنقل

الصحيح، وهو المعروف بـ «درء تعارض العقل والنقل»، وهو كتاب
عظيم، ردَّ فيه على جميع المبطلين، وكشف شبههم، وبَيَّنَّ أنها
شبهات وأوهام وآراء فاسدة ظنها أصحابها عقولًا، وبَيَّنَّ أن العقول
الصريحة لا تخالف النقول الصحيحة].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«على أَنَّ الأساطين^(١) من هؤلاء الفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية، فإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا كله: أَنَّ جميع المنحرفين عن الكتاب والسُّنة وقعوا في الأمر المريج؛ فالذين أنكروا الصفات اختلفوا واضطربوا على أي شيء تُحال هذه الصفات؟ وعلى أي عقل؟ وماذا يثبت؟ وماذا ينفي؟

وهكذا الذين أنكروا المعاد والجنة والنار - من الفلاسفة وغيرهم -، فهذا يكذب هذا، وهذا يُزَيِّف هذا، وهذا يثبت ما نفاه هذا، وهذا ينفي ما أثبته هذا، فصاروا في أمر مريج.

[وهذا ابتلاء وامتحان؛ لأن هذه الدار دار الابتلاء، فالله تعالى جاءهم بطريق واضح، وهو الصراط المستقيم، ثم يحيدون عنه إلى هذه التكلفات والآراء الفاسدة، والتعب الكثير الذي لا يرجع إلى شيء، بل نهايته أنه رأي محض لا يسمن ولا يغني من جوع، ويتركون الشيء الواضح الذي لا غبار عليه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحَجَّ: ٤٦)].

أما أهل الحق الذين تلقوا دينهم عن كتاب الله، وعن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فهم الذين وفقهم الله للثبات

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «الأساطين أي: كبارؤهم ورؤساؤهم الذين يرجعون إليهم».

والاستقامة، حتى صاروا على كلمة واحدة، وعلى طريق واحد؛
 تلقَّوه عن نبيِّهم ﷺ، وعن كتاب ربهم، فهم أهل السعادة في الدنيا
 والآخرة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
 تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالواجب الاعتصام بهذا الحبل؛ وهو دين الله، وما جاء به
 الكتاب والسُّنة، فالخروج عن هذا ضلال وشقاء.



بعثة محمد ﷺ بالهدى ودين الحق]

قال المؤلف رحمه الله:

«ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد؛ وهو الإيمان بالخلق والبعث».

قال المعلق رحمه الله:

وهذا لا شك فيه؛ أن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فـ«الهدى»: هو العلم النافع، والأخبار الصادقة، و«دين الحق»: هو الأعمال الصالحة، والشرائع المستقيمة، فبعثه الله بالعلم، والعمل؛ بعثه الله بالإخبار عما مضى من الأمور العظيمة، وبعثه الله بأعمال شرعية، وشرائع عادلة يسير عليها العباد.

كما بعثه بالإيمان بالمبدأ والمعاد؛ وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، فـ«الإيمان بالله» هو: الإيمان بالمبدأ، وأن الله هو رب الجميع، وإله الجميع، والمعبود بالحق ﷻ، وما شرعه لهم من العبادات. و«الإيمان باليوم الآخر» هو: الإيمان بالمعاد في الآخرة، وما يكون فيها من أهوال يوم القيامة، وما ينتهي بعد ذلك إليه من أمر الجنة والنار. فجمع بين هذا وهذا؛ أي: بين المبدأ والمعاد؛

وهو «الإيمان بالله»، وما شرعه لهم من الدين، وما أخبر به عن الماضين، و«اليوم الآخر» وما يكون فيه من الأمور العظيمة التي تنتهي بعد ذلك بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. فهذا كله جاء به عليه الصلاة والسلام، فعلى أتباعه الإيمان بهذا وهذا، أي: الإيمان بالمبدأ والأخبار الصادقة التي أخبر بها؛ وهو الهدى، والإيمان باليوم الآخر وما بعده من الأهوال وما يكون فيه إلى انتهاء أمر العالم بدخول الجنة أو النار، وبهذا ينتهي أمر العالم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: في السهولة عليه جل وعلا، فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فكل شيء سهل يسير عليه جل وعلا.

﴿مَا خَلَقَكُمْ﴾: هذا المبدأ، ﴿وَلَا بَعَثَكُمْ﴾: هذه النهاية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الرُّوم: ٢٧]. وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مُرادَه، ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبياناً؛ بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، فقد اجتمع في حقّه كمال العلم، والقدرة، والإرادة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا معلوم عند جميع أهل العلم والإيمان؛ وهو أنَّ الرسول ﷺ أعلم الناس بهذا، وأنصح الناس، فأما كونه «أعلم الناس»؛ فلأنَّه يتلقَّاه عن الربِّ ﷻ بواسطة الملك الصادق، والناس لا يعلمون ذلك، وليس عندهم خبر إلا ما وجدوه في الصُّحُف التي فيها الصدق والكذب، أما هذا فهو يتلقَّى الأخبار عن أصدق الخلق عن الربِّ ﷻ.

وأما كونه «أنصح الناس»؛ فلأنَّ الله جعله رحمة للعالمين، وجبَّله على خير الأخلاق، وعلى خير الصفات، وجبَّله على الصدق، وأمره به، فكان عليه الصلاة والسلام أصدق الناس، وأنصح الناس.

وكذلك جعله الله «أفصح الناس» عبارة وبياناً، فهو قادر على بيان ما بعثه الله به بأوضح وأبين عبارة؛ حتى لا تخفى على المستمع.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كَمَّلَ علمه وقدرته وإرادته: كَمَّلَ كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص: إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان، والرسول هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة؛ يجب وجود المراد، فَعُلِمَ قطعاً أنَّ ما بَيَّنَّه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كله ردُّ على المتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن ساءت ظنونهم، وزعموا أنه لم يبلغ، وإنما خَيَّلَ للناس. ورسول الله ﷺ هو أكمل الناس علماً، وأكملهم بياناً، وأكملهم نصحاً، فمتى توافرت هذه الأمور فلا يتأخر البيان، ولهذا بَلَّغَ عليه الصلاة والسلام البلاغ المبين، وجعله الله رحمة للعالمين، وهذا كله مما بَيَّنَّه للناس، وهداهم إليه، وأرشدهم إليه؛ بما أعطاه الله من علم وقدره وبيان. فَمَنْ زعم خلاف ذلك؛ فقد ساءت ظنونه بالله، وساءت ظنونه بالرسول عليه الصلاة والسلام، فيكون من أكفر الناس وأضلَّهم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فكل مَنْ ظَنَّ أن غير الرسول أعلم بهذا منه، أو أكمل بياناً منه، أو أحرص على هدى الخلق منه؛ فهو من الملحدين لا من المؤمنين.

والصحابه والتابعون لهم بإحسان وَمَنْ سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة.

[الطوائف المنحرفة عن طريقة السلف]

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة، وَمَنْ سلك سبيلهم من متكلم ومتصوّف ومتفقّ؛ فإنهم يقولون: إنّ ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين:

منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إنّ من المتفلسفة الإلهية مَنْ عَلِمَهَا، وكذلك من الأشخاص الذين يُسَمُّونهم الأولياء مَنْ علمها، ويزعمون أنّ من الفلاسفة والأولياء مَنْ هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة و الباطنية - باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية -.

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها؛ لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فَهْم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق، ويقول هؤلاء:

يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل، قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد! فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الأعمال فمنهم من يُقرّها، ومنهم من يُجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهؤلاء هم أكفر الناس وأضلُّهم وأبعدهم عن الهدى؛ حيث نسبوا الرُّسل إلى التخييل، وأنهم أتوا بغير الحقيقة، وأنهم زعموا للناس أشياء لا حقيقة لها، وهذا من أكفر الكفر، وأضلُّ الضلال. وهذا قول الفلاسفة الملحدين الذين لا يعرفون ربًّا، ولا إلهاً، ولا ديناً، وهكذا من تبعهم من الملاحدة من الرافضة والصوفية وغيرهم، نسأل الله العافية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده: امتحانهم وتكليفهم، وإتباع أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة، والجهمية، والمعتزلة، ومَن دخل معهم في شيء من ذلك.

والذين قصدنا الرد في هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء؛ إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورًا، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم - في الحقيقة - لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص - نصوص المعاد - نظير ما ادَّعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا فساد الشُّبه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات؛ فإنه لم يُنكر شيئًا منها أحد من العرب.

فَعَلِمَ أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، [وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات]، فكيف يجوز مع هذا

أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كله واضح في الردّ على الجهمية والمعتزلة، فإنّ نصوص الصفات أوضح وأظهر شيء؛ فقد جاء بها الكتاب العزيز الذي هو أصدق كلام، وجاءت بها السُّنة الصحيحة، فعُلم بذلك أنّ صفات الرب وأسماءه أمر ثابت وحقّ، حتى الجاهلية في جاهليتها لم تُنكر ذلك. فإثبات الصفات والأسماء أعظم وأكبر في الأدلة من إثبات المعاد والجنة والنار وغير ذلك، فإذا ساغ لهؤلاء المجرمين أن يتأوّلوها؛ فتحوا الباب للملاحدة في تأويل آيات المعاد، وما يتعلق بنصوص المعاد في الكتاب والسُّنة. ولهذا أجمع أهل السُّنة والجماعة على الردّ على هؤلاء وهؤلاء، وأنّ شبهات الفلاسفة باطلة، وهكذا شبهات أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من أبطل الباطل، وأضلّ الضلال.

والنصوص واضحة بيّنة ثابتة في بيان ما أخبر الله به من معاد الأبدان، وما يكون نهاية أهل الجنة وأهل النار، وما أعدّ الله لهؤلاء وهؤلاء، كل ذلك من أوضح وأبين النصوص، وهي أمور قطعية قطع بها المؤمنون والمسلمون، وكذلك الصفات سواء بسواء؛ بل هي من باب أولى.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأيضاً: فقد عُلِمَ أَنَّهُ ﷺ قد ذَمَّ أهل الكتاب على ما حَرَّفُوهُ وبَدَّلُوهُ، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما بُدِّلَ وحُرِّفَ لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذَكَرُوا بين يديه الصفات يضحك تعجباً منهم، وتصديقاً لها^(١)، ولم يَعْبَهُمْ قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٢٨) [ق: ٣٨].»

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كله يدل على قلة أدب اليهود، وعدم إيمانهم، وقلة بصائرهم، وعدم الحياء، ولهذا قالوا هذه المقالات الشنيعة: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، «إنه استراح لما فرغ من خلق السموات والأرض»، وجعلوا يوم السبت هو يوم الاستراحة، وكل هذا من أكاذيبهم وأباطيلهم الشنيعة التي قالوها عن غير حياء، وعن غير أدب، وعن غير مبالاة؛ لفضاعة كفرهم وضلالهم، نسأل الله العافية.

(١) من ذلك: ما رواه البخاري برقم: (٧٤١٤)، ومسلم برقم: (٢٧٨٦) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].»

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن، فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتَّفَقَ عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يُعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان.

وأما الصنف الثالث - وهم أهل التجهيل - فهم كثير من المنتسبين إلى السُّنة واتباع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء. فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وهو وقف صحيح^(١)، لكن لم يفرِّقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

[معاني التأويل]

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاث معان: فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٨٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٧-٩).

ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنُّوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً يُخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تُجرى على ظاهرها، فظاهرها مُرادٌ مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السُّنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره أم لم يوافق، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف مَنْ وقف من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، كما نُقِلَ ذلك عن ابن عباس^(١) ومجاهد^(٢) ومحمد بن جعفر بن الزبير^(٣) ومحمد بن إسحاق^(٤) وابن قتيبة^(٥)

(١) هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، وإمام التفسير، توفي سنة (٦٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٠).

(٢) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي، من كبار تلامذة ابن عباس، وعنه أخذ القرآن والتفسير، توفي سنة: (١٠٣هـ)، وقيل: (١٠٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٣) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، من فقهاء المدينة وقرائهم، توفي سنة بضع عشرة ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار، الحافظ رواية الأخبار، صاحب السيرة، توفي سنة: (١٥٠)، وقيل: (١٥١هـ)، وقيل: (١٥٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب التصانيف والفنون، توفي سنة (٢٧٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

وغيرهم^(١)، وكلا القولين حق باعتبار، كما قد بسطناه في موضع آخر^(٢)، ولهذا نُقل عن ابن عباس هذا وهذا^(٣)، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن؛ كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: هذا ما آلت إليه، وهذه حقيقتها برزت؛ وهي أن سجد له أبواه وإخوته: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] جاء تأويلها أي: حقيقتها، بعدما تولّى الأمر، ودخلوا عليه، وسجدوا له، هذا تأويلها. [وسجودهم له كان مشروعاً في زمانهم من باب الإكرام والتحية، وأما في شريعة محمد فقد نُسخَ هذا].

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، فتأويله: ما يشاهده الناس يوم القيامة من الجزاء والحساب، ونصب

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٨٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٧-٨).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٧٥، ٢٨٤-٢٨٥)، (١٦/ ٤٠٧-٤٢٢)، و«التدمرية» (ص ٩٠-٩٦).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٨٢-١٨٣).

الميزان، ونشر الصحف، ثم دخول الجنة أو دخول النار، فهذا تأويل ما أخبر الله به جل وعلا.

فالتأويل ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ذكره المؤلف من اصطلاح المتكلمين؛ وهو: صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن بذلك، وهذا أحدثه أهل الكلام، وليس هو التأويل المراد في شرع الله، وفي كلام رسول عليه الصلاة والسلام، فهذا أحدثه هؤلاء، وجروا به الآيات والأحاديث إلى أهوائهم ومراداتهم.

والقسم الثاني: تفسير الكلام بما دلَّ عليه السياق، ودلَّ عليه المعنى، ودلَّت عليه الأدلة، سواء وافق ظاهره أو لم يوافق ظاهره من بعض الوجوه؛ لكنه دلَّت عليه الأدلة، فهذا هو تفسير الكلام، كما يقول ابن جرير: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا»^(١)، وهو تفسير الكلام بما يتبين من سياق الكلام أو من مجموع الأدلة.

والقسم الثالث: الحقائق التي أخبر الله عنها، أي: ما يؤول إليه الكلام من الحقائق، فتأويل الرؤيا: ما يقع منها في الخارج، وتأويل ما أخبر الله به عن يوم القيامة: ما يقع يوم القيامة من الحساب والجزاء، والجنة والنار، وغير ذلك.



(١) ينظر - على سبيل المثال - : «تفسير الطبري» (١/ ١٤١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ نُنَزِّلُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله، وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»^(١). فالاستواء معلوم بعلم معناه، ويفسر ويترجم بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم. أما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا بقية الصفات؛ فالكيفية من التأويل الذي يعلمه الله وحده ﷻ، أما تفسير الآيات التي فيها الصفات فمعلوم للراسخين في العلم، فالسميع معلوم تأويله؛ وأنه سَمَاعُ الأصوات، والبصر: رؤية الأشياء، والعلم: الخبرة بالأشياء والإحاطة بها، والقدرة ضد العجز، فهذه معاني معلومة، وهكذا اليد والوجه والقدم، كل هذه صفات معلومة، لكن لا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ. فصفات الله وأسماءه معلومة المعاني؛ لكن لا يعلم كيفيتها إلا هو جل وعلا، ولهذا قال مالك وربيعه وأم سلمة والسلف بعدهم: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». وهكذا يقال: السمع معلوم، والبصر معلوم، واليد معلومة، والوجه معلوم، والإيمان بذلك واجب، والكيف مجهول، وهكذا بقية

(١) سياًتي تخريجه (ص ١١٦).

الصفات، كالضحك، والرضا، والغضب، فالغضب معروف وأنه ضد الرضا، والرضا معروف وأنه ضد الغضب، ولكن لا يعلم كيفية رضاه ولا كيفية غضبه إلا هو جل وعلا، لكن معروف ما ينتج عن الغضب من العقوبات والنقمات، وما ينتج عن الرضا من الرحمة والإحسان والإكرام إلى غير ذلك.

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال:** ما معنى قول الإمام مالك: «والسؤال عنه بدعة»؟

● **الجواب:** أي: السؤال عن الكيفية؛ لأن السلف ما سألوا الرسول ﷺ عن الكيفية؛ لأنه لا يعلمها إلا الله ﷻ، فالصحابه سمعوا وأجابوا، وآمنوا وصدقوا، ولم يسألوا عن الكيفية؛ لأن الكيفية أمرها مختص بالله، لا يعلمها إلا هو ﷻ.

■ **سؤال:** ما معنى حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: «إن الله خلق آدم على صورته»^(١).

● **الجواب:** صورة تليق بالله جل وعلا، من كل وجه، يعني: أن آدم سميع بصير يتكلم وله وجه، والله سميع بصير يتكلم وله وجه، لكن ليس الوجه كالوجه، وليست الصورة كالصورة، وليس العلم كالعلم، وليس الكلام كالكلام... وهكذا. فصورة المخلوق تليق به، وصورة الله تليق به ﷻ، كما قال في حديث يوم القيامة: «إذا جاءهم ﷻ على صورته سجدوا له»^(٢).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه البخاري برقم: (٦٢٢٧)، ومسلم برقم: (٢٨٤١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم..». رواه البخاري برقم: (٦٥٧٣)، ومسلم برقم: (١٨٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق^(١) وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: «تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ، فمن ادّعى علمه فهو كاذب»^(٢). وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَة: ١٧]، وقال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٣). وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وإن كنّا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مَحَمَّد: ٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا أَلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه. وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي^(٤) «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن - عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، عالم اليمن، ومحدث زمانه، (١٢٦هـ - ٢١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: «تفسير عبد الرزاق» (١/ ٢٥٣)، و«تفسير الطبري» (١/ ٣٤).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٤٧٧٦)، ومسلم برقم: (٢٨٢٤).

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، الإمام مقرئ الكوفة، توفي سنة (٧٤هـ)، وقيل: (٧٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣).

القرآن والعلم والعمل جميعاً»^(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا ينبغي، فلولا أنه يُفْهَم وله معانٍ تُفْهَم لما قالوا: «فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»، فمعانيها التي خوطبنا بها، وأُمرنا بتدبرها والعمل بها معلومة، كما نعرف معنى: ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وما أشبه ذلك، فهناك أشياء - مثلما قال ابن عباس - تُعرف من لغة العرب، وأشياء يعرفها الراسخون في العلم، وأشياء لا عذر لأحد بجهالتها؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك، والرابع هو الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ، كعلم الغيب، وكيفية الصفات.



(١) رواه أحمد برقم: (٢٣٤٨٢)، والحاكم في «المستدرک» برقم: (٢٠٤٧) وصححه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية وأسأل عنها»^(١). وقال الشَّعْبِي^(٢) «ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها»^(٣). وقال مَسْرُوق^(٤) «ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قَصُرَ عنه»^(٥). وهذا باب واسع قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا: التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأنَّ مَنْ جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات؛ لم يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

يُبَيِّنُ أَنَّ المقصود من هذا: بيان أصول المقالات الفاسدة التي قالها المتكلمون، والزنادقة، والفلاسفة، مثلما تقدَّم في قول أهل التخييل والتجهيل والتأويل، وغيرهم ممن تكلم في أصول الدين بغير علم، فأراد المؤلف أن يبيِّن فساد مقالاتهم، وأنَّ الذي عليه

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٨٥).

(٢) هو عامر بن شراحيل الهمداني المعروف بالشعبي، من كبار التابعين، توفي سنة (١٠٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٥).

(٣) ينظر: «الصواعق المرسلة» (٢/ ٩٢٥).

(٤) هو مسروق بن الأجدع الهمداني، إمام من كبار التابعين، توفي سنة (٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣).

(٥) ينظر: «الفيہ والمتفقہ» (١/ ٥٦-٥٧).

أهل الحق هو الحق والصواب؛ من الإيمان بأنَّ الرسول ﷺ بَلَّغَ عن الله رسالاته، وأنَّه لا ينطق عن الهوى، وأنه أعلم الناس بما جاء عن ربِّه جل وعلا، فهو أخبر عن ربه بما يعلم هو معناه، وبَلَّغَهُ الأُمة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالواجب على الأُمة التصديق والإيمان بذلك، والانقياد لذلك، واطِّراح هذه المقالات الفاسدة التي قالها الزنادقة، والمتكلمون الضالون، وأهل التصوُّف، فيما أخطئوا فيه، وضلُّوا به عن السبيل، وأن لا يلتفت إلى مقالاتهم الضالَّة؛ فالله جل وعلا قال: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١-٤]، فما قاله عن الله وثبت عنه فهو الحق، وإن جهله هؤلاء الضالون ولم يعرفوه. وكذلك ما أخبر به من أسمائه وصفاته فهي حق لا ثقة بالله ﷻ، وهي كمال تليق به جل وعلا، لا يشابه فيها خلقه ﷻ.

وهكذا ما أخبر به عن الجنة والنار من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وما في الجنة من أنواع الخيرات، وما في النار من أنواع العذاب، كله حق أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبر به القرآن، فوجب الأخذ بذلك، والتصديق بذلك، واطِّراح المقالات الضالَّة المخالفة لذلك.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم هؤلاء ينكرون العقلیات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول وأُمَّته في باب معرفة الله ﷻ لا علوماً عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول ﷺ وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أنَّ أهل السنة والجماعة هم أولى الناس بالسمعيات، وهم أولى الناس بالعقليات الصحيحة، وأولئك المنحرفون هم أبعد الناس عن السمع الصحيح، والعقل الصحيح، فقد باءوا بالخيبة والخسارة، لا في السمع ولا في العقل. أما أهل السنة والجماعة فقد وفَّقوا لقبول الحق الذي جاء به السمع، ووفَّقوا أيضاً لما دل عليه العقل الصحيح، والفطرة السليمة الموافقة لشرع الله ﷻ. فأولئك الضالون لا أصابوا العقل، ولا أصابوا السمع، وأما هؤلاء المؤمنون السالكون مسلك النبي ﷺ فقد وفَّقوا لما حصل لهم من الإيمان بالله ورسوله، وما صح عن الله وعن رسوله، وقد أصابوا الفطرة السليمة، والعقل الصحيح؛ فإن القاعدة الشرعية: «أن العقول الصحيحة والفطر السليمة لا تخالف النقول الصحيحة، بل هما متطابقتان».



[أقوال أئمة السلف في صفات الله]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ مَنْ نقل مذهبهم، إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يُعَلِّم به مذهبهم.

[أقوال كبار التابعين في صفات الله تعالى]

روى أبو بكر البيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح عن الأوزاعي^(١) قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»^(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

الأوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أحد الأئمة الكبار، وهو عالم الشام، وإليه المرجع في زمانه، كان يقول رَحِمَهُ اللهُ: «كنا نقول والتابعون متوافرون - لأنه أدرك جمعًا كبيرًا من التابعين - إن الله تعالى ذكره فوق عرشه»، أي: نؤمن بذلك، ونُقرُّ بأنه فوق العرش فوق جميع الخلق وَجَلَّ جَلَالُهُ، ومع هذا نؤمن بما ثبت في السنة من صفاته سبحانه، كما نؤمن بما جاء به القرآن من صفاته

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي، أحد الأئمة الكبار، (٨٨هـ - ١٥٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٨).

(٢) ينظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٥٠).

جل وعلا، فما جاء في القرآن من علمه وحكمته ورحمته وعلوه واستوائه على عرشه كله حق، وهكذا ما جاءت به السُّنة من الأحاديث الصحيحة؛ لأن الوحي الثاني كالوحي الأول، فالسُّنة هي الوحي الثاني، والوحي الأول هو القرآن، وهو الأصل، فما جاءت به السُّنة الصحيحة فهو من جنس ما جاء في القرآن؛ يجب الإيمان به وإثباته، وإقراره واعتقاده، والدعوة إليه، والذب عنه.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث^(١) إمام أهل مصر، والثوري^(٢) إمام أهل العراق^(٣)؛ حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش، وبصفاته السمعية، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جَهْم المنكر لكون الله تعالى فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك.

وروى أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» عن الأوزاعي قال: «سئل مَكْحُول^(٤) والزُّهري^(٥) عن تفسير الأحاديث، فقالا: أمروها كما جاءت»^(٦). وروى أيضًا عن الوليد بن مسلم^(٧) قال: «سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقال: أمروها كما جاءت»، وفي

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، عالم الديار المصرية وفقهها ومحدثها، توفي سنة (١٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٤).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، إمام أهل الدنيا في زمانه، (٩٧هـ - ١٦١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٠).

(٣) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «أي: في زمانهم».

(٤) هو أبو عبد الله مكحول الأزدي البصري، من طبقة الزُّهري. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٠).

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، من كبار رواة الأحاديث، (٥١هـ - ١٢٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦).

(٦) ينظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٩٨).

(٧) هو أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقي، عالم أهل الشام، توفي سنة (١٩٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥).

رواية: «فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف»^(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهؤلاء هم أئمة الدنيا في زمانهم: مالك في المدينة، والثوري في العراق في الكوفة، والأوزاعي في الشام، والليث بن سعد في مصر، وهم أئمة وعلماء زمانهم في الثقة والرواية والفقه، رحمهم الله، قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف» يعني: آمنوا بها كما جاءت عن الله وعن رسوله من غير كيف، فلا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ. ولهذا قال مالك لما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». وهكذا جاء عن شيخه ربيعة، وعن أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهكذا قال الليث بن سعد المصري، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وسفيان بن عُيَيْنَةَ، وغيرهم من أئمة الإسلام، كلهم على هذا الطريق؛ أنه يجب أن تمرَّ آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من دون تأويل ولا إلحاد، بل تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله ﷻ، تليق به سبحانه، لا يشابه فيها خلقه جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿فَلَا تَضَرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].



(١) رواه الخلال في «السنة» برقم: (٣١٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فقولهم رضي الله تعالى عنهم: «أمرؤها كما جاءت» رد على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف» رد على الممثلة. والزُّهري ومَكْحُول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقيون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد^(١) وحماد بن سلمة^(٢)، وأمثالهما.

وروى أبو القاسم الأزجي^(٣) بإسناده عن مُطَرِّف بن عبد الله^(٤) قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكر عنده مَنْ يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من خَلَق الله تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، مَنْ اهتدى بها فهو مهتد، وَمَنْ استنصر بها فهو منصور، وَمَنْ خالفها واتَّبَعَ غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»^(٥).

- (١) هو حماد بن زيد بن درهم، أحد الأئمة في زمانه، من أقران مالك، (٩٨هـ - ١٧٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٧).
- (٢) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، الإمام الثبت، من أقران حماد بن زيد، توفي سنة (١٦٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٥).
- (٣) هو عبد العزيز بن علي بن أحمد البغدادي الأزجي، كان صاحب حديث وسنّة، [٣٥٦هـ - ٤٤٤هـ]. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٥١).
- (٤) هو أبو مصعب مطرّف بن عبد الله بن يسار، كان من أصحاب مالك، [١٣٧هـ - ٢٢٠هـ]. ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٦٦).
- (٥) رواه الآجري في «الشریعة» (ص ٤٨، ٣٠٧)، وابن بطّة في «الإبانة» (١ / ٣٥٢ - ٣٥٣).

قال المعلق رحمه الله:

ومقصود عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أن الواجب السير على منهج السلف الصالح الذين تابَعُوا نَبِيَّهم صلَّى الله عليه وآله، واستقاموا على طريقه؛ وهم الصحابة، فالواجب الأخذ بما قالوا، والسير على منهجهم في جميع الشؤون؛ في إثبات الصفات وتنزيه الله عن مشابهة خلقه، وفي اتِّباع الشريعة، وتعظيم أمر الله ونهيه، وفي غير هذا من شؤون الدِّين؛ لأنهم كانوا على الهدى المستقيم، فَمَنْ سار على نهجهم واستقام على طريقهم فهو المهتدي، وَمَنْ حاد عن سبيلهم واتَّبَعَ غير سبيلهم - من أصحاب البدع والأهواء - وَلَاَهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. نسأل الله العافية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى الخلال - بإسناد كلهم أئمة ثقات - عن سفيان بن عُيَيْنَةَ قال: «سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن^(١) عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق»^(٢). وهذا الكلام مَرُويٌّ عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان؛ أن الله جل وعلا بعث نبيه ﷺ بالرسالة والبلاغ، فالواجب على الأمة التصديق والقبول، فما فسره لهم رسولهم فسروه، وما كف عنه كفوا عنه، وما جهلوه قالوا: الله أعلم. فلا يجوز لهم التعنت والتكلف في شيء ما جاءت به السنة، ولا بلغهم إياه الرسول ﷺ، ولهذا قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني التابعي الجليل شيخ مالك رَحِمَهُ اللهُ: «الاستواء غير مجهول» يعني: معروف معناه: أنه العلو فوق العرش، «والكيف غير معقول»: لا نعرف كيف استوى، فعلينا الصمت والكف، «ومن الله الرسالة»: الله أرسل الرسول، «وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق». هذا واجبنا؛ أن نصدق ما جاء به الرسول ﷺ،

(١) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ المشهور بريعة الرأي، من أئمة الاجتهاد، توفي سنة (١٣٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥١)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٣٢).

وأن نقاد له ونَتَّبِعْهُ، فإذا عرفنا معناه فالحمد لله وإن لم نعرف وكلناه إلى الله وقلنا: الله أعلم.

وهكذا قول مالك كما يأتي: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب». وهكذا يُروى عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها هذا المعنى، مثل ما قال ربيعة، ومالك.

وهكذا القول في جميع الصفات: الرحمة، والقدرة، والعلم، والسمع، والبصر، والضحك، والرضا، وغير ذلك، كلها معلومة، أما الكيف فغير معقول، فلا نكيّف صفات ربنا، فليس عندنا علمٌ ذلك، ولكن نؤمن بها، ونمرّها كما جاءت، وأنها حق، وأنها ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به جل وعلا، من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، كما قال رحمه الله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [التحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الحج: ١١]، [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، إلى غير ذلك. هذا هو الواجب عند أهل السنة والجماعة، أما ما سلكه الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع من التأويل والتعطيل؛ فهو باطل عند أهل السنة والجماعة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«منها: ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني، وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: «كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: هـ] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخضاء، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً. ثم أمر به أن يخرج»^(١). فقول ربيعة ومالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب». موافق لقول الباقرين: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول». ولما قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً؛ بل مجهول بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معناه، إنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات. وأيضاً فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج إلى أن يقول: «بلا كيف»، فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر، لما قالوا: «بلا كيف». وأيضاً فقولهم: «أمروها كما جاءت»، يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/٣٩٨)، والبيهقي في

«الأسماء والصفات» (٢/١٥٠-١٥١).

معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمرُّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمرُّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا يكون قد أمرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: «بلا كيف»؛ إذ نفي كيف عما ليس بثابت لغو من القول.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وكل هذا واضح المعنى؛ وأنَّ السلف إنما أرادوا إثبات المعنى، وأنه حق، ولهذا قال: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، وقالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»، فعلم بذلك أنهم أرادوا أنها صفات حق، وأنها ثابتة، وأنَّ الواجب إمرارها لفظاً ومعنى من غير تكييف ولا تمثيل. فقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، هذا سمع حقيقة، وبصر حقيقة، لكن لا نكيّفه؛ ولا نعلم كيفيته، ولا نمثله بصفات المخلوقين، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهكذا قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»^(١)، وقوله: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»^(٢)، وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]... إلى غير ذلك.

المقصود: أنها صفات يجب إثباتها كما جاءت عن الله وعن

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٢٨٢٦)، ومسلم برقم: (١٨٩٠).

(٢) رواه مسلم برقم: (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رسوله على الوجه اللائق بالله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا
تكييف، ولا تمثيل، هذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب
النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان.



[كلام ابن الماجشون في الصفات]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى الأثرم في «السنة»، وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة»، وأبو عمرو الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون^(١) - وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب^(٢) - وقد سئل عما جحدت به الجهمية، أما بعد: «فقد فهمت ما سألت فيما تابعت الجهمية ومَن خلفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحصرت العقول دون معرفة قدرته، وردت عظمته العقول فلم تجد مساعاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف» لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل؛ فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر مَن لم يبدأ، ومَن لا يموت ولا يبلى؟! وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف؟! على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه، الدليل

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، أحد الأئمة، وأحد فقهاء المدينة، توفي سنة (١٦٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣١٠).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب المدني الفقيه، توفي سنة (١٥٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٤٠).

على عجز العقول عن تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغراً يجول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله؛ أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادة وربهم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

اعرف - رحمك الله - غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها إذ لم تعرف قدر ما وصف، فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمي عن البين بالخفي، فجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرتهم إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، قد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينضرون.. إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلّى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحداً. وقال المسلمون: «يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب»،

قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب»؟ قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك»^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»^(٢)، وقال لثابت بن قيس: «لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة»^(٣) وقال فيما بلغنا: «إن الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ قال: نعم. قال: لا نعدم من رب يضحك خيراً»^(٤). إلى أشباه لهذا ممّا لا نحصيه. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [٣٩] طه: ٣٩، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في روعهم، وخلق على معرفة قلوبهم^(٥)، فما وصف الله من نفسه، وسماه على لسان رسوله ﷺ

- (١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَوَاهُ البخاري برقم: (٦٥٧٣)، ومسلم برقم: (١٨٢٩).
- (٢) رواه البخاري برقم: (٤٨٤٩)، ومسلم برقم: (٢٨٤٦).
- (٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَوَاهُ البخاري برقم: (٣٧٩٨)، ومسلم برقم: (٢٠٥٤).
- (٤) رواه ابن ماجه برقم: (١٨١)، وأحمد برقم: (١٦١٨٧) من حديث أبي رزين بنحوه. قال البوصيري في «مصابح الزجاج» (٨٥/١) عن إسناده: «إسناده فيه مقال».
- (٥) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «لعلها: وخلق على معرفته قلوبهم، والرُّوع: القلب، والرُّوع: الوجل والخوف».

سمَّيناه كما سمَّاه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا، ولا هذا، لا نجحد ما وصف، ولا نتكلَّف معرفة ما لم يصف».

اعلم رحمك الله أنَّ العصمة في الدِّين أن تنتهي في الدِّين حيث انتهى بك، ولا تجاوز ما قد حد لك، فإن من قوام الدِّين معرفة المعروف، وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة، وسكنت إليه الأفتدة، وذكر أصله في الكتاب والسُّنة، وتوارث علمه الأمة؛ فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبًا، ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدرًا، وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك؛ فلا تكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكار ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه؛ فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

كلام ابن الماجشون رَحِمَهُ اللهُ هذا كلام عظيم جيد طيب.

الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمَةَ بن الماجشون رَحِمَهُ اللهُ من أئمة العلم والهدى، ومن أتباع التابعين رحمهم الله، وهذا الذي قاله هو الصواب، وهو الحق الذي دَرَجَ عليه أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان؛ وهو أن الواجب على العالم إثبات ما أثبتته الله ورسوله من صفات الله وأسمائه على الوجه اللائق بالله جل وعلا، والإمساك عما لم يرد في الكتاب والسُّنة، فكما أنه يجب عليك إثبات ما أثبتته الله ورسوله، فيجب عليك الكفُّ عما لم ينطق الله به

ورسوله، فالدين ليس بالآراء والاستحسانات، ولكنّه بالنقل، فما جاء عن الله ورسوله - من أسماء الله وصفاته، وشرائع دينه - وجب السمع والطاعة له، والإيمان به، وإمراره كما جاء، وما لم يأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله؛ فالواجب الإمساك عنه، وألاً تقول في حق ربك إلا بعلم وبصيرة عن الله أو عن رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولما وقعت الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام في هذا الباب بالخوض والآراء والاستحسانات وقعوا في الباطل، فخرجوا عن الكتاب والسنة، وكفّروهم أهل السنة والجماعة وبدّعوهم وضلّلوهم، وأنكروا عليهم وحاربوهم؛ بسبب أنهم تكلفوا ما لم ينزل الله به سلطاناً، وقالوا على الله وعلى رسوله بغير علم، فضلّوا وأضلّوا. فالواجب الاتباع، وعدم الخروج عما جاءت به الأدلة الشرعية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فقد والله عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره، ولا تسمية غيره من الرب مؤمن، وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سمَّاه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمَّى، وما وصف الرب تعالى من نفسه. والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها؛ لا ينكرون صفة ما سمَّى منها جحدًا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقًا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وهب الله لنا ولكم حكمًا وألحقنا بالصالحين» اهـ^(١) هذا كله كلام ابن الماجشون الإمام، فتدبر وانظر كيف أثبت الصفات، ونفى علم الكيفية موافقًا لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على مَنْ نفى الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا، كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسمًا أو عرضًا فيكون محدثًا.

[تقرير الإمام أبي حنيفة لمسائل الصفات وإثباتها]

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذين روه بالإسناد عن أبي مطيع الحسن بن عبد الله البلخي^(٢)، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: «لا تكفرن أحدًا

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٧/ ٦٣-٧١).

(٢) هو الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن البلخي، راوي كتاب «الفقه الأكبر» عن أبي حنيفة، توفي سنة (١٩٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٨).

بذنّب، ولا تنف أحداً به من الإيمان، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا توالي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله ﷻ.

قال أبو حنيفة: «الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولئن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير». قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله: «قلت: أخبرني عن أفضل الفقه؟ قال: تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة»، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه.

ثم قال: «قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيتَّبِعْهُ على ذلك أناس فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟ قال: لا، قلت: ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة؟ قال: هو كذلك، لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء، واستحلال الحرام»، قال: وذكر الكلام في قتل الخوارج والبيعة، إلى أن قال: «قال أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات، قلت: فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل». وفي لفظ: «سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال: قد كفر،

قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات، قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر^(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا واضح في مذهبه رَحِمَهُ اللهُ، وأنه على طريق أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ لأن إنكار كون العرش في السماء إنكار لوجود الله في السماء، والله يقول: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧] فمن أنكر أن الله في السماء أو أن الله فوق العرش فقد كفر، كما قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وهذا إجماع أهل السنة والجماعة. فالواجب على أهل الإسلام: الإيمان بأن الله في السماء فوق العرش، وعلمه ﷻ في كل مكان، لا تخفى عليه خافية. [وأما الذين يقولون: إن الله في كل مكان فيكفرون بهذا].

وكذلك قوله: إن الفقه الأكبر هو علوم العقائد؛ لأن الفروع تابعة للعقيدة، فعلم البيع والشراء والإجارة والنكاح والطلاق، هذه الأمور الفروع تابعة للعقيدة والإيمان. فالفقه الأكبر هو العلوم المتعلقة بتوحيد الله والإيمان به ﷻ، والإيمان بما أخبر به عن نفسه من صفاته وأسمائه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

فالواجب على كل مؤمن أن يعرف هذه الأمور، وأن يعتقدها كما قال السلف الصالح، وأن يسير عليها مؤمناً بأن الله في السماء

(١) ينظر: «الفقه الأكبر» (ص ٧٦ - ١٣٥).

فوق العرش، وعلمه في كل مكان، وأنه سبحانه ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لا شبه له، ولا كفاء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ﷺ. وأن الواجب إثبات أسمائه وصفاته على الوجه اللائق به، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهكذا أنكر أبو حنيفة على هؤلاء الذين يخرجون على السلطان، وقال: إنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، فالواجب عليهم إنكار المنكر، والدعوة إلى الخير؛ لكن بغير السلاح، وأما الخروج بالسلاح لقتل المسلمين، وقتل ولاة الأمور بزعمهم أنهم ينكرون المنكر؛ فهذا عمل الخوارج والمعتزلة الذين أفسدوا فيه أكثر مما يصلحون، وفعلوا خلاف ما أمرهم به النبي ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً في معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة»^(١) ولما قال ﷺ: «إنه يلي عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، قالوا: ألا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا»^(٢) وفي حديث عباده فهو حديث مستقل وليس فيه: «لا» إلا أن تروا كفراً بواحاً»^(٣) وفي اللفظ الآخر: «ما أقاموا فيكم الصلاة»^(٤).

ولكن هؤلاء الذين أيضاً يقاتلون لا يجوز الخروج عليهم إلا على بصيرة وعلم، وعلى قدرة أنهم يزيلون هذا المنكر، أما هؤلاء

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضيهما، رواه البخاري برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم برقم: (١٨٤٩).

(٢) رواه مسلم برقم: (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رضيها.

(٣) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت رضيها، رواه البخاري برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم برقم: (١٧٠٩).

(٤) رواه مسلم برقم: (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضيها.

الجهلة الذين يريدون الخروج بزعمهم فيقتلون الناس ويؤذونهم، ويقتلون المسلمين على غير بصيرة؛ فهؤلاء ليس لهم الخروج، وإنما الخروج على مَنْ قدر على ذلك ورأى كفرًا بواحدًا، على قوم ما أقاموا الصلاة، أو أظهروا كفرًا بواحدًا غير ذلك، بشرط أن يكون ذلك القيام يحصل به المقصود، ولا يحصل به ما هو أنكر منه. نسأل الله العافية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض؟! واحتج على كفره بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قال: وعرشه فوق سبع سموات. وبين بهذا أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، يبين أن الله فوق السموات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله تعالى بنفسه فوق العرش، ثم إنه أردف ذلك بتكفير مَنْ قال: إنه على العرش استوى، ولكن توقّف في كون العرش في السماء أم في الأرض. قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل. وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير مَنْ أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل. وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإنّ القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله تعالى في العلو، وعلى أنه يُدعى من أعلى لا من أسفل. وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك، فقال: «إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر»^(١) وروى هذا اللفظ بإسناده عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي^(٢) «كتاب الفاروق»، وروى أيضاً ابن أبي حاتم^(٣)

(١) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١٠١-١٠٢).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، من سلاطين العلماء، (٣٩٦هـ - ٤٨١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ٥٠٣).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي صاحب كتاب الجرح والتعديل، (٢٤٠هـ - ٣٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٧).

«أن هشام بن عبيد الله الرازي^(١) - صاحب محمد بن الحسن قاضي الرِّي^(٢) - حبس رجلاً في التجهُّم فتاب، فجيء به إلى هشام ليطلقه، فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب»^(٣).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ومعنى «بائن من خلقه» أي: منفصل من خلقه [يقال: بان كذا عن كذا أي: انفصل، ومنه: بانت سعاد أي: انفصلت سعاد، فهو بائن من خلقه أي: منفصل من خلقه، ما فيه شيء من خلقه]، وهو سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فوق العرش فوق جميع الخلق.



(١) هو هشام بن عبيد الله الرازي البستي الفقيه، أحد أئمة السنة، توفي سنة (٢٢١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٤٦).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني فقيه العراق، وصاحب أبي حنيفة، توفي سنة (١٨٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٥٥٥).

(٣) ينظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٤٠-١٤١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى أيضًا عن يحيى بن معاذ الرازي^(١) أنه قال: «إن الله على العرش بائن من خلقه، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل، وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان»^(٢).

وروى أيضًا عن ابن المديني^(٣) لما سُئِلَ: ما قول أهل الجماعة؟ قال: «يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله فوق السموات على العرش استوى»، فسئل عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟ فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]»^(٤).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أنه معهم بعلمه وأطلاعه عليهم، وهو ﷻ فوق العرش، لا تخفى عليه خافية، ولهذا بدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم.



(١) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي، أحد الزهاد، وله كلام الوعظ والزهد، توفي سنة (٢٥٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٣ / ١٥).

(٢) ذكر الذهبي في «العلو» (ص ١٣٩-١٤٠) جزءًا من هذا الأثر.

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة (٢٣٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ٤١).

(٤) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١٢٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى أيضًا عن أبي عيسى الترمذي قال: «هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان»^(١) وروى عن أبي زُرْعَةَ الرَّازِي^(٢) أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: تفسيره كما تقرأ، هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله»^(٣).

وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري - صاحب أبي حامد الإسفراييني^(٤) - في كتابه المشهور في «أصول السنة» بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسّر اليوم شيئًا من ذلك؛ فقد خرج عمّا كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا؛ ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء» اهـ^(٥). ومحمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمر السلبي غالبًا أو

(١) ينظر: «سنن الترمذي» (٤٠٣/٥).

(٢) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي، إمام في الحفظ والإتقان، توفي سنة (٢٦٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧٧).

(٣) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١٣٧).

(٤) هو أحمد بن طاهر بن محمد بن أحمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد، (٣٤٤هـ - ٤٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠١).

(٥) ينظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٤٣٢).

دائمًا.

وقوله: «من غير تفسير» أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الذي قاله محمد بن الحسن هو إجماع أهل السنة والجماعة، وهو إجماع أصحاب النبي ﷺ، وَمَنْ تبعهم بإحسان؛ وهو إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل، بل يمرُّونها كما جاءت مع الإيمان بها، واعتقاد أنها حق.

ولا تفسَّر بتفسير الجهمية؛ وهو التأويل لها وسلبها ونفيها أو تكييفها، كل هذا باطل؛ بل تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات لله لا ثقة به، وأنها صفات كمال ليس فيها نقص، وليس فيها تشبيه لله بخلقه، فيقرؤون: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة»^(١) «إن الله ليرضى عن العبد»^(٢) إلى غير هذا، فيمرُّونها كما جاءت، كصفة الرحمة، وصفة الغضب، وصفة الرضا، وصفة اليد، وصفة الوجه... إلى غير ذلك، ويعلمون أنها حق، وأنها صفات لا ثقة بالله ثابتة له على الوجه اللائق به ﷺ، كما يقول

(١) سبق تخريجه (ص ١١٨).

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٨).

جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. هكذا أهل السنة والجماعة يمرونها مع الإيمان بها، وأنها حق، أما تأويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم فهذا كله لا يصلح، وكله باطل.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام^(١) قال: «هذه الأحاديث التي يقول فيها: «ضحك ربنا من قنوط عباده، وقُرب غيره^(٢)»^(٣) «وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قَدَمه»^(٤) والكرسي موضع القدمين^(٥) وهذه الأحاديث في الرؤية، هي عندنا حق، حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنا إذا سُئلنا عن تفسيرها لا نُفسرها، وما أدركنا أحدًا يفسرها».

أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتفسير ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدًا من العلماء يفسرها أي: تفسير الجهمية.

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، من أهل خراسان، صاحب نحو وعربية، وله عدة مصنفات أشهرها: «غريب الحديث»، (١٥٧هـ - ٢٢٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩١).

(٢) قال أحد الطلاب لسماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: في نسختنا: «وقرب خيره». فقال سماحته رَحِمَهُ اللهُ: «لا المعروف في الرواية: «غيره» يعني: تغيير الأمور، ومعنى «خيره» صحيح كذلك، لكن الرواية: «غيره» أي: تغيير الأمور من شدة إلى رخاء، ومن رخاء إلى شدة، ومن صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، فالرواية «غيره» بالغين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث رزين العقيلي رَحِمَهُ اللهُ برقم: (١٦١٨٧)، وابن ماجه برقم: (١٨١) وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٣٩).

(٤) سبق تخريجه في (ص ١٩).

(٥) روي موقوفًا على ابن عباس وأبي موسى الأشعري رَحِمَهُ اللهُ، ينظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٠١-٣٠٢)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢ / ١٤٨).

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً قال له: «يا أبا عبد الرحمن، إنني أكره الصفة - عنى صفة الرب - فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه» أو نحو هذا^(١) أراد ابن المبارك: أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الحق؛ فإنَّ أسماء الرب وصفاته توقيفية، ليس لأحد أن يقترح أو يخترع شيئاً لم تأت به النصوص من صفات الله، ولكن يسمّى بما سمّى به نفسه أو سمّاه به رسوله عليه الصلاة والسلام، ويوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وليس للإنسان أن يخترع شيئاً من كيسه؛ بل يقف حيث وقفت النصوص، ويمرّها كما جاءت من غير تأويل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه لله بخلقه؛ بل يمرّها كما جاءت مع الإيمان القاطع أنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ومع الإيمان بأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته جل وعلا، وأنه لا أكمل منه ﷻ في كل شيء.



(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٣١/٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٣/٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: «بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السموات على عرشه، بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض»^(١) وهكذا قال الإمام أحمد وغيره»^(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ومعنى «بائن» أي: منفصل، يعني: منفصل من خلقه، ليس في خلقه شيء منه، وليس في ذاته شيء من خلقه؛ بل هو مستقل سُبْحَانَهُ، فوق عرشه فوق سمواته جل وعلا.



(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/١١١، ٣٠٧).

(٢) ينظر: «الرد على الجهمية» للإمام أحمد (ص ١٣٥)، و«العلو» للذهبي (ص ١٣٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب^(١) الإمام: سمعت حمّاد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء»^(٢) وروى ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي^(٣) إمام أهل البصرة علماً ودينًا من شيوخ الإمام أحمد، أنه ذكر عنده الجهمية فقال: «أشر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وهم قالوا: ليس على شيء»^(٤).

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة^(٥) من لم يقل: «إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه؛ وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ثم ألقي على مَزْبَلَةٍ؛ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة»، ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح^(٦).

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن عَبَّاد بن العَوَّام

(١) هو أبو أيوب سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي، إمام من الأئمة، (١٤٠هـ - ٢٢٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٠٦).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١ / ١١٧-١١٨).

(٣) هو سعيد بن عامر الضبعي البصري، توفي سنة (٢٠٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ١١٤).

(٤) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١١٧).

(٥) **سئل سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ** عن وصف ابن خزيمة بإمام الأئمة؟ فأجاب: يعني: في زمانه، هذا أحسن ما يحمل عليه المعنى؛ يعني: إمام زمانه؛ لقوته في السنة، وردّه على أهل البدعة، وهو رَحِمَهُ اللهُ مات سنة (٣١٠هـ)، في السنة التي مات فيها ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ، فهما أقران.

(٦) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ٧٤).

الواسطي^(١) إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد، قال: «كلمت بِشْرًا المريسي وأصحاب بِشْرٍ، فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن مهدي^(٣) الإمام المشهور أنه قال: «ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جَهْم؛ يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء. أَرَى والله أن لا يُنَاكحوا ولا يُوارثوا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

كل أئمة الإسلام من الصحابة وَمَنْ بعدهم كلهم مجمعون على ضلال الجهمية وأشباههم ممن يتكلم في الصفات وينفيها ويعطلها، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على ضلالهم، وأنهم قد قالوا قولاً إِذَا، ولهذا قال جمهورهم بأنهم كفَّار ضَّالَّان، ليس لهم اجتهاد؛ بل قولهم باطل، وهم كفَّار؛ لأنكارهم أسماء الرب وصفاته، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «النونية»^(٤):

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عندهم بل حكاه قبله الطبراني
فالمقصود: أنَّ أئمة الإسلام وجمهورهم يرون كفرهم
وضلالهم، وإن تسمَّوا بالإسلام؛ لأنهم كذَّبوا النصوص، وأنكروا ما
دلَّت عليه من أسماء الرب وصفاته، نسأل الله العافية.

(١) هو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله المنذر الواسطي، إمام أهل واسط، توفي سنة (١٨٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٢).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦-١٢٧).

(٣) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري، أثنى عليه العلماء ثناء عاطراً، (١٣٥هـ - ١٩٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٣).

(٤) ينظر: «النونية» لابن القيم (ص ٤٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وأن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا؛ فإن تابوا وإلا قتلوا»^(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أن الجهمية في نفهم الصفات يحاولون بذلك نفي وجود الله وإنكاره بالكُليّة، وهذا غاية في الإلحاد والضلال والكفر، فإنه إذا قيل: إنه ليس بعليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا كذا ولا كذا، فمعناه: النفي المحض - نعوذ بالله -؛ ولهذا حكم عليهم جمهور أهل السُّنة والجماعة بالكفر والرّدة، وأن الواجب استتابتهم، فإن تابوا وإلا وجب قتلهم؛ لإلحادهم وإنكارهم ما جاءت به الكتب السماوية، وما صحّت به السُّنة. ولهذا ضحّى خالد بن عبد الله القسري بالجعد بن درهم يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحّوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم بعدما نزل أمر بقتله أمام الناس^(٢) فجزاه الله خيراً على هذا العمل الطيب، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان^(٣)

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨٦/١).

(٢) ينظر: «البداية والنهاية» (١٤٨/١٣).

(٣) ينظر: «النونية» لابن القيم (ص ٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وعن الأصمعي^(١) قال: «قدمت امرأة جَهْم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة»^(٢)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهي خبيثة زوجة خبيث، أخذت من زوجها الخبث، قبحها الله.



(١) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، حجة في اللغة والأدب، توفي سنة (٢١٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٧٥).

(٢) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١١٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وعن عاصم بن علي بن عاصم^(١) - شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما - قال: «ناظرت جهميًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربًّا»^(٢) وروى الإمام أحمد قال: أخبرنا سريج بن النعمان^(٣) سمعت عبد الله بن نافع الصائغ^(٤) سمعت مالك بن أنس يقول: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان»^(٥).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا قول أهل السنة والجماعة؛ وهو أن الله فوق العرش فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، يعني: بعلمه وإطلاعه، وهو فوق العرش عِزًّا، لا تخفى عليه خافية جل وعلا.



- (١) هو عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، توفي سنة (٢٢١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٩).
- (٢) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١٢٣).
- (٣) هو أبو الحسن سريج بن النعمان بن مروان اللؤلؤي، توفي سنة (٢١٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٦٧).
- (٤) هو عبد الله بن نافع الصائغ، من كبار فقهاء المدينة وأصحاب مالك، توفي سنة (٢٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٩).
- (٥) ينظر: «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٠٦-١٠٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال الشافعي: «خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه الله في السماء، وجمع عليه قلوب عباده»^(١) وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: «كانت زينب^(٢) تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زَوَّجُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وزَوَّجَنِي اللهُ من فوق سبع سموات»^(٣) وهذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي^(٤) حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه. قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره^(٥).

[كلام أبي عبد الله بن أبي زمين]

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمين^(٦) الإمام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنّفه في «أصول السنة» قال فيه: باب الإيمان بالعرش

قال: «ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ خلق العرش، واختصه

(١) ينظر: «إثبات صفة العلو» لابن قدامة (ص ١٨١).

(٢) هي أم المؤمنين زينب بن جحش ابنة عمّة النبي ﷺ، تزوجها بعد أن طلقها متبناه زيد بن حارثة؛ توفيت سنة (٢١هـ) وكان أول زوجات النبي ﷺ لحاقاً به. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١).

(٣) رواه البخاري برقم: (٧٤٢٠).

(٤) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «المريسي يشدّد ويخفّف؛ نسبة إلى قرية من مصر يقال لها، مريس وبعضهم يخففها: مريسة، فمن شدّد القرية شدّد النسبة، ومن خفّف القرية خفّف النسبة».

(٥) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١١٢).

(٦) هو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي، شيخ قرطبة، (٣٢٤هـ - ٣٩٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨).

بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٤]، الآية. فسبحان من بُعد، وقرب بعلمه فسمع النجوى! وذكر حديث أبي رزّين العقيلي قلت: «يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: في عَمَاء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»^(١) قال محمد^(٢) العَمَاء: السحاب الكثيف المطبق، فيما ذكره الخليل^(٣) وذكر آثارًا أخر.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الحديث: «في عماء» رواه الإمام أحمد وجماعة، وهو من طريق وكيع بن حُدُس، ويقال: ابن عُدُس^(٤)، وهو ليس بذاك المشهور، وذكر بعضهم - كالحافظ - أنه مقبول. فليس بذاك المشهور من جهة السند وصحة السند، لكن لو صح فهذه أمور توقيفية، وإن لم يصح فالقول فيه كغيره: الله ﷻ أعلم، وقد أخبرنا أنه فوق العرش، وأنه استوى على العرش بعدما خلق السموات والأرض، وأما ما قبل ذلك فإن صحَّ حديث أبي رزّين فالأمر فيه واضح، وإلا فالجواب فيه: الله أعلم.

(١) رواه أحمد برقم: (١٥٨٩١)، والترمذي برقم: (٣١٠٩) وحسنه، وابن ماجه (١٨٢).

(٢) أي: ابن أبي زمنين.

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام في اللغة، وهو أول من قال بعلم العروض، توفي سنة (١٧٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩).

(٤) هو أبو مصعب وكيع بن عدس العقيلي، قال عنه الحافظ: «مقبول من الرابعة». ينظر: تقريب التهذيب (ص ٥٨١)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٤/ ٦١٥).

وحديث وكيع بن حُدُس ليس من الأحاديث القوية التي يحسن الاعتماد عليها في الأصول، ولكن يمكن أن يكون له طُرُق أخرى، وشواهد أخرى تعضده وتقويه. فينبغي التأمل، ومراجعة رواية أبي رزين في المسند، وفي أبي داود الطيالسي^(١)، وفي غيره.



(١) ينظر: «مسند أبي داود الطيالسي» برقم: (١٠٩٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قال محمد بن عبد الله: «ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين، ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه، ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها»^(١) وذكر ما ذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور: حدثني العلاء بن هلال عن عمار الدُّهني عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه»^(٢) وذكر من حديث أسد بن موسى: حدثنا حماد بن سلمة عن زرع بن ابن مسعود قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»^(٣).

ثم قال في باب الإيمان بالحُجُب، قال: ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه، يحتجب عنهم بالحُجُب، فتعالى الله عما يقول

(١) رواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (ص ٩٦). وهذا الحديث رواه جمع من الأئمة من طرق متعددة، وصححه ابن القيم، ينظر: «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٧-٢٣٩).

(٢) ينظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ١٠٠).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٤٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٣) (٢/ ٨٨٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٧) وقال: «رجال رجال الصحيح».

الظالمون علواً كبيراً: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا
كُذْبًا﴾ [الكهف: ٥]. وذكر آثاراً في الحُجُب.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا مثل ما جاء في حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيح:
«حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره
من خلقه ﷺ»^(١) ومثل ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه عند
مسلم: «قيل: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: رأيت نوراً»،
وفي لفظ: «قال: نور أنى أراه»^(٢) فالله جل وعلا له من الحُجُب
والأنوار العظيمة ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو ﷺ؛ لكن يوم
القيامة يكشف جل وعلا الحجاب عن وجهه الكريم، فيراه المؤمنون
في عرصات القيامة، وفي الجنة، وهو أعلى نعيمهم.



(١) رواه مسلم برقم: (١٧٩).

(٢) رواه مسلم برقم: (١٧٨).

قال المؤلف رحمته الله:

«ثم قال في باب الإيمان بالنزول، قال: «ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدًا»».

قال المعلق رحمته الله:

لا يحدوا فيه حدًا يعني: على ما جاء في النصوص: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول سبحانه: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيه؟ مَنْ يستغفرني فأغفر له، حتى ينفجر الفجر»^(١)، وفي اللفظ الآخر: «هل من سائل فيعطى سؤله؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من تائب فيتأب عليه؟»^(٢)، فأهل السنة يمرُّونها كما جاءت من غير تأويل ولا تفسير ولا حدٍّ. أما من قال: «ينزل ربنا» أي: ينزل ثوابه أو أمره أو ملك من عنده؛ فهذا تأويل باطل، وإلحاد في الحديث.



(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (٧٥٨).

(٢) رواه مسلم برقم: (٧٥٨) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وذكر الحديث من طريق مالك وغيره.. إلى أن قال: «وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عبّاد قال: «ومَن أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان، وفُضيل بن عياض، وعيسى بن المبارك، ووكيع، كانوا يقولون: إن النزول حق». قال ابن وضاح: «وسألت يوسف بن عدي عن النزول؟ قال: نعم أؤمن به، ولا أحدٌ فيه حدًّا». وسألت عنه ابن مَعِين فقال: «نعم، أقرُّ به، ولا أحدٌ فيه حدًّا»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: لا أقول: ينزل كذا، ولا كذا، فلا أكَيِّف، فهو ينزل كما يشاء ﷻ، ولا يعلم كيف ينزل إلا هو، كما أنه استوى على العرش كما يشاء، ولا يعلم كيفية استوائه إلا هو ﷻ، وهكذا بقية الصفات، فلا يعلم كيف يرضى، ولا كيف يغضب، ولا كيف يجيء يوم القيامة، ولا كيف يضحك؛ إلا هو ﷻ، فالكيفية إليه ﷻ، هو أعلم بها جل وعلا، وإنما علينا الإيمان بما أخبرنا به من ضحك، ورضا، وغضب، ورحمة، وعلم، وسمع، وبصر، ونزول، واستواء؛ فنؤمن بها كما جاءت على الوجه الذي يليق بالله ﷻ، ولا يعلم كيف صفاته إلا هو ﷻ.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قال محمد: «وهذا الحديث يبين أن الله ﷻ على العرش في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بين في كتاب الله، وفي غير حديث عن رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧) [المُلْك: ١٦-١٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال: فأعْتَمِهَا»^(١) قال: والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً. فسبحان مَنْ علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إله إلا هو العلي العظيم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا وصفه جل وعلا عند جميع أهل السنة أي: العلو، وهي صفة ذات أجمع عليها العلماء، ودلّت عليها الفطرة، فالله فطر العباد على الإيمان بعلوه ﷻ، وأنه جل وعلا فوق الجميع، حتى البهائم فطرها على رفع رأسها إلى السماء عندما يحزبها شيء.

فالمقصود: أن الفطرة دلت على علوه، وجاءت النصوص بذلك، فقد جاء الكتاب العظيم، والسنة المطهرة، وجاء الأنبياء

(١) سبق تخريجه في (ص ٣٧).

جميعاً بالإيمان بعلو الله ﷻ. وأما استواؤه على العرش فجاءت به النصوص النقلية السمعية، فالاستواء والعلو كلاهما صفتان عظيمتان ثابتتان لله ﷻ، فأما العلو فبالفطرة والعقل والنص جميعاً، وأما الاستواء فبالنص أي: السمع، كما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال قبل ذلك في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال: «واعلم بأنَّ أهل العلم بالله، وبما جاءت به أنبياءه ورسوله؛ يرون الجهل بما لم يُخبر به عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدعوا إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيّه»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو البصيرة والحق، وهو مقتضى العقل السليم، فالجهل بما لم يُخبر به علمٌ، والعجز عن إدراك ذلك هو الحقيقة التي يجب أن يُقَرَّ بها العبد، وأنه عاجز لا يعلم عن ربّه إلا ما جاءت به النصوص، ولا يستطيع أن يقول عن ربّه سوى ما جاءت به النصوص، فالجهل بما لم يخبر به عن نفسه هو العلم في الحقيقة؛ أن يقول العبد: الله أعلم، ولا أدري عن هذا، إنما نعلم ما جاءت به النصوص ودلت عليه، فنصف الله بها، وما أخبر به عن نفسه، ونسكت عما سوى ذلك، فهذا هو العلم، وهذا هو مقتضى الإيمان، فالعجز عن إدراك ما لم يخبر به هو الإيمان الصحيح، وأما التكلّف ودعوى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان؛ فهذا هو الجهل.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَص: ٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الْأَنْعَام: ١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢٨]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨]، وقال: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩) ﴿طه: ٣٩﴾».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨] أي: بمرأى من الله ومسمع منه ﷻ. وفيه: إثبات العين؛ لأنه لا يقول هذا مَنْ لا عين له، ولا سمع له ولا بصر.

وقوله عن السفينة: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [الْقَمَر: ١٤] أي: برعايته ﷻ، وفيه إثبات العين.

وقوله: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩) ﴿طه: ٣٩﴾ أي: أنه رُبِّي على عينه ﷻ؛ وذلك بتوفيق الله لمن ربَّاه حتى صار في أحسن حالة، ومع ذلك ففيه إثبات العين لله ﷻ. وقد جاءت النصوص في قصة الدَّجَال: «وإن ربكم ليس بأعور، وإن الدَّجَال أعور العين اليمنى»^(١). ففيه إثبات العين، وإثبات الرعاية من الله للسفينة، ولموسى عليه الصلاة والسلام].



(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري برقم: (٧١٢٧)، ومسلم برقم: (١٦٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]... الآية، وقال: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمٌّ وَأَرْبُ﴾ (٤٦) [طه: ٤٦]. وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١٦٤) [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]... الآية. وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية. وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. ومثل هذا في القرآن كثير. فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، ولا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء، والباطن بطن علمه بخلقه، فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) [البقرة: ٢٩]. قيوم حي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وذكر أحاديث الصفات... ثم قال: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١]، لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رآته القلوب في حقائق الإيمان» اهـ^(١).

(١) إلى هنا انتهى النقل عن ابن أبي زمنين.

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال:** كيف يكون إثبات صفة الاستهزاء في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؟

● **الجواب:** يستهزئ بهم ويمكر بهم كما فعلوا، مكر بحق، واستهزاء بحق، يوصف به ﷺ، فالمذموم هو الاستهزاء بالباطل، والمكر بالباطل، وأما استهزاؤه بهم فهو في مقابل استهزائهم، لما استهزؤوا استهزأ بهم، ومكر بهم، وكيدوا، وخدعوا، فهو بحق يوصف به؛ لأنه وصف حق؛ فيوصف الله ﷻ به على الوجه اللائق به جل وعلا.

■ **سؤال:** هل صفة الكلام لله تعالى صفة ذاتية أم فعلية؟

● **الجواب:** أصولها ذاتية، يقال: ذاتي، ويقال: فعلي؛ لأنه من باب الاختيار، فيسمى ذاتياً؛ لأنه من صفات الذات، ويسمى فعلياً؛ لأنه يقع عن مشيئة، فهو يتكلم إذا شاء ﷻ.

■ **سؤال:** ما معنى قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ

وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]؟

● **الجواب:** يعني: ذاته ﷻ بوجهه الكريم، عبّر بالوجه؛ لأنه هو الأشرف. والمقصود: أنه يبقى بوجهه الكريم، صفة الوجه مع بقاءه ﷻ، وعبّر بالوجه لأنه من صفاته العظيمة، ولهذا قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَص: ٢٨]، يعني: هو بوجهه وذاته جميعاً، وليس المقصود الوجه وحده، فهو عبّر بالوجه عن الذات كلها؛ لأنه موصوف بالوجه ﷻ، وهذه من طريقة العرب، يقال: يبقى وجه فلان أي: كل فلان، وليس وجهه فقط، والباقي معدوم، بل المراد: كله.

[كلام الخطابي في صفات الله]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تَسَع هذه الفتيا عُشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم، مثل ما ذكره أبو سليمان الخطَّابي^(١) في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله»، قال: «فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسُّنة؛ فإنَّ مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاهوا قوم فأبطلوا ما أثبتته الله، وحقَّقها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضَرْبٍ من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه، والجافي والمقصر عنه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كلام عظيم قد أحسن فيه أبو سليمان رحمة الله عليه، وهو قول أهل السُّنة، فقوم أفرطوا في التنزيه حتى عَطَّلُوا؛ كالجهمية، والمعتزلة وأتباعهم كالأشاعرة في بعض الصفات، وقوم أفرطوا في الإثبات فمَثَّلُوا وشَبَّهُوا، والحق ما قاله أهل السُّنة؛ وهو

(١) هو الفقيه المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطَّابي، جمع بين علم الحديث والفقه، والشعر واللغة، توفي سنة (٣٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٩٧).

الوسط؛ وهو الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل، إثبات بريء من التمثيل، وتنزيه بريء من التعطيل، وذلك بإمرارها وإثباتها كما جاءت، والإيمان بها، وأنها حقٌّ، وأنَّ الله لا شبيه له فيها وَجَلَّ جَلَلُهُ.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: الخطابي على مذهب أهل السنة في باب الصفات أم عنده بعض التأويل؟

● الجواب: قد يقع بعض الناس - هو أو غيره - في التأويل، لكن كلامه رَحِمَهُ اللهُ هذا كلام طيب.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والأصل في هذا: أنَّ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله؛ فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها؛ فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى «اليد»: القوة أو النعمة، ولا معنى «السمع والبصر»: العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبَّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات». هذا كله كلام الخطَّابي. وهكذا قال أبو بكر الخطيب^(١) الحافظ في رسالة له؛ أخبر فيها أنَّ مذهب السلف على ذلك.

وهذا الكلام الذي ذكره الخطَّابي قد نقل نحوًا منه من العلماء مَنْ لا يحصى عددهم، مثل: أبي بكر الإسماعيلي^(٢)، والإمام يحيى بن عمار السَّجْزِي^(٣)، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي^(٤)،

(١) هو الإمام أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي، المشهور بالخطيب البغدادي، صاحب المصنفات الكبيرة والكثيرة، (٣٩٢هـ - ٤٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٧٠).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي، إمام أهل جرجان، (٢٧٧هـ - ٣٧١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٢٩٣).

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني، كان حسن الموعظة، بارعًا في التفسير، له قبول تام بين أهل بلده، توفي سنة (٤٢٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٨٢).

(٤) في نسخة زيادة: «صاحب «منازل السائرين» و«ذم الكلام»، وهو أشهر من أن يوصف».

وشيوخ الإسلام أبي عثمان الصابوني^(١)، وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب وغيرهم.

[كلام أبي نعيم في صفات الله]

وقال أبو نعيم الأصبهاني^(٢) صاحب «الحلية» في عقيدة له قال في أولها: «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة.. قال: فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله؛ يقولون بها ويشبتونها، من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه»^(٣).

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين» تأليفه: «وأجمعوا أن الله فوق سمواته، عالٍ على عرشه، مستوٍ عليه لا مستولٍ عليه، كما تقول الجهمية: إنه بكل مكان، خلافاً لما نزل في كتابه: ﴿ءَأَمْنُم مِّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السموات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه، كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيه يوم

(١) هو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، كان من سيوف السنة، برع في عدة فنون، توفي سنة (٤٤٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٩).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، محدث وقته، وأحد الحفاظ الكبار، توفي سنة (٤٣٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٤).

(٣) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ٢٤٣).

القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ^(١)، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة - لفصل القضاء بين عباده - والملائكة صفًا صفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وزاد النبي ﷺ: وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين، ويعذب من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] اهـ.

[كلام معمر بن أحمد الأصبهاني]

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني^(٢)؛ شيخ الصوفية^(٣) في حدود المائة الرابعة في بلاده، قال: «أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف، وأهل المعرفة والتصوف من

(١) كما روى ابن ماجه برقم: (٤٠١٠) من حديث جابر رضي الله عنه، ولفظه: «لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟».. والشاهد قوله في الحديث: «فقلت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً». وحسن البوصيري إسناده في «مصابيح الزجاجة» (٣/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) هو أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهاني، شيخ الصوفية في زمانه بأصبهان، توفي سنة (٤١٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢).

(٣) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «لعل مراده: أهل التصوف الأوائل؛ فهم أهل الزهد والورع، كالجنيد، وأبي سليمان الداراني، وبشر الحافي، وأشباههم، فقد اشتهروا عند الناس بالزهد والورع، والعبادة والتقشف، والرغبة في الآخرة، والزهد في هذا الدار، فكان يقال لهم: أهل الورع والزهد، ثم حدث هذا الاسم الجديد: التصوف».

المتقدمين والمتأخرين»، قال فيها: «وإن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول. وإنه ﷻ مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول، ولا مmazجة، ولا اختلاط، ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق. وإن الله ﷻ سميع بصير، عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر»^(١)، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأوّل فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وصدق معمر في هذا، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ أنه ﷻ استوى على العرش استواء يليق بجلاله، وهكذا بقية الصفات: يرضى، ويغضب، ويتكلم متى شاء، ويرحم عباده، ويضحك إليهم، كل هذا واقع؛ لكن على الوجه اللائق به من غير كيف ولا مشابهة لخلقه ﷻ، وهكذا النزول الباب واحد، وهكذا جميع الصفات بابها واحد عند أهل الحق؛ يجب إثباتها لله، وإمرارها كما جاءت، والإيمان بها، وأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله على الوجه الذي يليق به ﷻ، فكما أن ذاته حق، ولا تشبه ذوات المخلوقين؛ فهكذا صفاته حق، ولا تشبه صفات المخلوقين.

(١) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

وَمَنْ زَعَمَ خِلَافَ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَصَارَ كَلَامُهُ فِي ذَلِكَ يُؤَوِّلُ إِلَى الْإِلْحَادِ، وَإِنْكَارِ الذَّاتِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ الصِّفَاتِ فَقَدْ عَطَّلَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَنْكَرَ وَجُودَهُ، هَذَا مَالَ قَوْلِهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.



[كلام أبي بكر الخلّال]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلّال^(١) في كتاب «السُّنة»: حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث - يعني: العبادي - حدثنا الليث بن يحيى قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث - قال أبو بكر: هو صاحب الفضيل - قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّكَمُ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)» [الإخلاص: ١-٤]، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. وكل هذا النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع؛ كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: بل أؤمن بربّ يفعل ما يشاء».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

وهذا حق، فالله فعّال لما يريد، ومن ذلك: الاستواء، والنزول، والضحك، والرضا، والغضب، وغير ذلك.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونقل هذا عن الفضيل جماعة؛ منهم البخاري في «أفعال العباد»، ونقل شيخ الإسلام^(١) بإسناده في كتابه: «الفاروق» فقال: حدثنا يحيى بن عمار، حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا حرمي بن علي البخاري وهانئ بن النضر عن الفضيل.

[كلام عمرو بن عثمان المكي]

وقال عمرو بن عثمان المكي^(٢) في كتابه الذي سمّاه: «التعريف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: «باب ما يجيء به الشيطان للتائبين»، وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[والشيطان قد يعمل هذا وهذا؛ فقد يأتي ويُزيّن للعباد «القنوط»، ويعظم عليهم أمر النار، وغضب الله؛ فيقنطون بسبب بعض المعاصي التي فعلوها، وقد يأتي بعض الناس ويُزيّن لهم «الغرور»؛ وأنهم قد بلغوا منزلة ما بلغها أحد في عباداتهم؛ حتى يغتروا ويظنوا أنهم خيار الناس، وأنهم فوق الناس، وأنهم تعبّدوا أكثر مما تعبّده الأنبياء، فيقعون في الغرور والتكبر والمن على الله بما فعلوا؛ فيهلكون بسبب ذلك].

(١) هو أبو إسماعيل الهروي توفي سنة (٤٨١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣).

(٢) هو عمرو بن عثمان بن كُرب بن غُصص المكي، من مشايخ الصوفية، ومن علماء أصول الفقه، توفي سنة (٢٩٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٣١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فقال: «من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيل، أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالجحد لها والتعطيل». فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: «واعلم - رحمك الله - أن كل ما توهمه قلبك، أو سنع في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء أو إشراق أو جمال أو شبح مائل أو شخص متمثل؛ فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل، أولم تعلم أنه لما تجلّى للجبل تدكدك لعظم هيئته، وشامخ سلطانه؟! فكما لا يتجلّى لشيء إلا اندك؛ كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك. فردّ - بما بيّن الله في كتابه من نفسه عن نفسه - التشبيه والمثل والنظير والكفاء.

فإن اعتصمت بها، وامتنعت منه؛ أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس في كتابه، وسنة رسوله محمد ﷺ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه؛ فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدّين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى. واعلم - رحمك الله تعالى - أن الله تعالى واحد لا كالأحاد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

إلى أن قال: «خلصت له الأسماء السنية، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالى صفة كان منها خليّاً، واسماً كان منه بريّاً، تبارك وتعالى، فكان هادياً سيهدي،

وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفته أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمى به في جملة فعله. كذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، بمعنى: أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فيستحسر العقل، وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين: لا معطلاً، ولا مشبهاً، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً مستسلماً مصدقاً بلا مباحثة التنفير، ولا مناسبة التنفير.

إلى أن قال: «فهو تبارك وتعالى القائل: «أنا الله» لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائياً لا أمره، المتجلي لأوليائه في المعاد، فتبيض به وجوههم، وتفلج به على الجاحدين حُجَّتْهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان - تبارك وتعالى -، الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قرّبه نجياً، تقدّس أن يكون كلامه مخلوقاً أو محدثاً أو مربوباً، الوارث بخلقه لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه^(١) إلى أجسامهم، يدها مبسوطتان وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فيه من

(١) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «يقال: «الناظر بعينه» ويقال: «الناظر بعينه»، فكلاهما صحيح، يقال: «بعينه»، والمفرد المضاف يعم، كما قال: «يده» ويقصد «يديه»، ويقال: «بعينه»؛ لأن له عينين ﷺ، كما أن له يدين وقدمين ﷺ، هذا معناه.

روحه؛ وهو أمره، تعالى وتقدس أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به؛ تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، الشائي^(١) له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا؛ ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس».

إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، القائل: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [المك: ١٦-١٧]، تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء، جل عن ذلك علوًّا كبيرًا اهـ^(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الذي قاله رَحِمَهُ اللهُ هو الحق، فإنَّ الناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

- غلاة، وهم المشبهة.
- ونفاة معطلون؛ وهم الجهمية وأشباههم.
- وأهل السنة؛ وهم الوسط في هذا الباب، فليسوا مع المعطلين النافين للصفات، ولا مع المشبهين الممثلين الذين غلوا في إثبات الصفات، ولكنهم حق بين الباطلين، ووسط بين الطرفين؛ فقد

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أخذها من «شاء»؛ لإثبات المشيئة له، وليس من

أسمائه، بل من باب إثبات المشيئة والإرادة».

(٢) ينظر: «الحلية» لأبي نعيم (١٠/٢٩١-٢٩٢)، و«تاريخ بغداد» (١/٢٢٣-٢٢٤).

أثبتوا صفات الله وأسماءه على الوجه الذي يليق به ﷻ، من غير تعطيل، ومن غير تشبيه، فليسوا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، فقد أثبتوا صفات الله وأسماءه ﷻ، ولم يشبّوها بصفاته بصفات خلقه، ولم يعطّلوا صفاته ﷻ؛ بل هو المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، قد استوى على عرشه ﷻ، وهو القادر على ذلك قبل وجود هذا الاستواء، وقبل وجود العرش، وهو على كل شيء قدير ﷻ، كما أنه قادر على المجيء والإتيان، وإن كان لا يفعله إلا يوم القيامة حين يقضي بين عباده، وهو على كل شيء قدير، وهو الذي يفعل ما يشاء على الوجه اللائق به ﷻ.

هذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان؛ أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وينزّهوه عما نزّه عنه نفسه، وأن يؤمنوا بأنه جلّ وعلا له الكمال المطلق في كل شيء؛ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له، ولا كفاء له، ولا ندّ له، ولا يقاس بخلقه ﷻ.



[كلام الإمام أبي عبد الله المحاسبي]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي^(١) في كتابه المسمى: «فهم القرآن»، قال في كلامه على النسخ والمنسوخ: «وأن النسخ لا يجوز في الأخبار»، قال: «لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن يُنسخ منها شيء».. إلى أن قال: «وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا؛ أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم، ولا كلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك.

فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره، كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ﴾ [يونس: ٩٠] الآية، وقال: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّاهِرِينَ﴾ [محمّد: ٣١] وقال: وقد تأوّل قوم أنّ الله عني أن ينجيه ببدنه من النار؛ لأنه آمن

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي العنزي البغدادي، سمي بالمحاسبي؛ لكثرة محاسبته لنفسه، كان إماماً في الفقه والتصوف، وعرف بالزهد والورع، (١٧٠هـ - ٢٤٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢ / ١١٠).

عند الغرق، وقال: إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [مُود: ٩٨]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غَافِر: ٤٥]، ولم يقل: بفرعون، قال: وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيكَ صَدَقُوا﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]، كذلك قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيكَ صَدَقُوا﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]، فآقر التلاوة على استئناف العلم من الله ﷻ عن أن يستأنف علماً بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه؛ نجده ضرورة، قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤]، وقال: إنما قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [مَحَمَّد: ٣١]، إنما يريد حتى نراه؛ فيكون معلوماً موجوداً؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً من قبل أن يكون، ويعلمه موجوداً كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوماً موجوداً وإن لم يكن، وهذا محال». وذكر كلاماً في هذا في الإرادة... إلى أن قال: «وكذلك قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥]، ليس معناه: أن يُحْدِثَ له سمعاً، ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم، وقد ذهب قوم من أهل السنة أن لله استماعاً في ذاته، فذهبوا إلى أنما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت. وكذلك قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٥]، لا يحدث بصراً محدثاً في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً كما لم يزل يعلمه قبل كونه». إلى أن قال: «وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الْأَنْعَام: ١٨]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، وقال: ﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾

[السُّجَّة: ٥]، وقال: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]... الآية، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وذكر الآلهة أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً إلى طلبه حيث هو، فقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وقال أبو عبد الله: «فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً»، كذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية، فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله الحارث المحاسبي كلام عظيم، وهو موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإنَّ أهل السنة أجمعوا على أن الأخبار لا تنسخ، وأنَّ ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به عن الجنة والنار، وما كان وما يكون؛ كله مُحْكَمٌ لا يعتريه النسخ، بل هو محكم ثابت، لا شك فيه ولا ريب، فلا يجوز أن يخبر بأنه سبحانه هو الرحمن، وهو الرحيم، وهو السميع، وهو البصير، وأن الجنة كذا، والنار كذا، ثم يأتي بعد ذلك ما ينسخ ذلك، هذا مستحيل أبداً، بل هو الصادق في خبره، وخبره أصدق خبر: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فهي أشياء ثابتة، فقد أخبر عن نفسه

بأسمائه وصفاته وهي ثابتة له سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا يجوز لعاقِل أن يتأولها على غير تأويلها.

وما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَوْقُبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فهذا على معناه؛ وهو أنه سبحانه مع علوه وفوقيته وكونه في العلو فوق العرش؛ هو مع عباده بعلمه وإطلاعه، ورؤيته لهم، وقربه منهم بعلمه وإطلاعه جلًّا وعلا، ولا يلزم من هذا نسخ تلك الأخبار التي أخبر بها عن نفسه أنه فوق العرش، وأنه فوق جميع الخلق، وأن الأعمال، والملائكة تعرج إليه، بل كله حق؛ فهو في العلو فوق السموات، ومع هذا فهو مع عباده بعلمه وإطلاعه ورؤيته لأحوالهم.

وكذلك إذا أخبر أنه: «حتى نعلم كذا» أو «لنعلم كذا»؛ فالمعنى: لنعلمه موجودًا بعدما علمه ﷻ في القدر السابق، فهو يعلم ما كان قبل أن يوجد، ويعلمه بعد أن يوجد، ويراه بعد أن يوجد، كما هو معلوم له ﷻ في القدر السابق، فلا تنافي بين هذا وهذا، وهكذا ما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] معناه: إثبات ما أخبر به، لكن على وجه لا يشابه فيه خلقه ﷻ، بل له الكمال المطلق من كل الوجوه، والنقص للعباد والخلق.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«واعلم أن هذه الآيات ليس معناها: أن الله أراد الكون بذاته؛ فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لانتقالها، ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك، وقد نزع لذلك بعض أهل الضلال؛ فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائناً، كما هو على العرش، لا فرقان بين ذلك، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل مَنْ يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يُعْنِ عنه نفيه بلسانه. واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا: لا كالشيء في الشيء.

قال أبو عبد الله: لنا قوله: ﴿حَقِّقْ نَعْلَمَ﴾ [مَحَمَّد: ٣١] ﴿وَسَيَرَى اللهُ﴾ [التَّوْبَة: ٩٤]، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٥] فإنما معناها: حتى يكون الوجود فيعلمه موجوداً، ويسمعه مسموعاً، ويبصره مبصراً، لا على استحداث علم، ولا سمع، ولا بصر. أما قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ [الإِسْرَاء: ١٦] إذا جاء وقت كون المراد فيه، وأن قوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الْأَنْعَام: ١٨]، ﴿ءَامِنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الْمُلْك: ١٦]، ﴿إِذَا لَابَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإِسْرَاء: ٤٢] فهذا وغيره مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المَعَارِج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فَاطِمَة: ١٠] هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، منزّه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَامِنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الْمُلْك: ١٦] يعني: فوق العرش، والعرش على السماء؛ لأن مَنْ قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء. وقد قال مثل ذلك في قوله: ﴿فَسِيحُوا﴾

فِي الْأَرْضِ» [التوبة: ٢] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله: «يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ» [المائدة: ٢٦] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ» [طه: ٧١] يعني: فوقها عليها. وقال: «أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ثم فصل فقال: «أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ» [المُلْك: ١٦] ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى إذا فصل قوله: «مَنْ فِي السَّمَاءِ» [المُلْك: ١٦] ثم استأنف التخويف بالخسف إلا أنه على عرشه فوق السماء، وقال تعالى: «يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» [السجدة: ٥]، وقال: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ» [المعارج: ٤]. فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» [المعارج: ٤] فقال: صعودها إليه، وفصله من قوله: «إليه»، كقول القائل: أصدع إلى فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو، وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله ﷻ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه؛ فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو، قال تعالى: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» [النساء: ١٥٨] ولم يقل: «عنده».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من قول المحاسبي رَحِمَهُ اللهُ ما قاله أهل السنة من أن الله جل وعلا فوق العرش فوق جميع الخلق ﷻ لم يزل عالماً بأحوال عباد، بصيراً بهم، لطيفاً بهم جل وعلا، وأن قوله ﷻ: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» [الحديد: ٤]، وقوله: «لَا تَحْزَنْ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ مَعَنًا» [التوبة: ٤٠]، وما أشبه ذلك؛ معناه: الإحاطة بهم، وإطلاعه على أحوالهم، وأنه لا يخفى عليه خافية ﷻ، وليس معناه: أنه معهم في

الأرض، وأنه حالٌ في الأرض، وأنه في كل مكان، كما يقول أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة وأشباههم؛ فإنَّ هذا من أكفر الكفر، وأبطل الباطل، بل هو سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان.

وهكذا قوله ﷺ: ﴿ءَأْمِنُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦] أي: في العلو، فإنَّ «السما» كل ما علا، فمعنى «في السماء» أي: في العلو أي: فوق السموات وفوق العرش، كما قال جل وعلا: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التَّوْبَة: ٢] أي: على الأرض. وقال: ﴿يَتِيَهُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] أي: على الأرض، وقال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على الجذوع يعني: فوقها.

فقوله: «في السماء» أي: على السماء، فإذا أريد به السماء المبنية فالمراد: عليها وفوقها، وإذا أريد جنس السماء فالمعنى: أنه في العلو ﷺ، ولهذا قال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] إلى غير هذا مما يدل على العلو، وأنه فوق جميع الخلق ﷺ.

وهكذا لم يزل عالماً بصيراً بأحوال عباده، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ أي: حتى نعلم هذا خارجاً موجوداً، وإلا فعلمه بهم قبل أن يوجدوا، فقد كتب ما يكون، وعلم ﷺ ما يكون قبل أن يوجدوا، وعلم أحوالهم قبل وجودهم، وعلم أعمالهم قبل وجودها، فهو ﷺ يعلم كل شيء قبل وجود الخلق، وقد سبق في علمه كل شيء، وأما قوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ [محمّد: ٣١] فالمراد: بعد وجودها، وبعد ظهورها في الأرض، وبعد إيجادهم لها، أي: حتى نعلمه موجوداً في الأرض بعدما كان في العلم فقط.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿عَافِر: ٣٦-٣٧﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ ﴿عَافِر: ٣٧﴾ فيما قال لي: أن إلهه فوق السموات، فبين الله ﷻ أن فرعون ظنَّ بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه؛ حيث قاله مع الظنِّ بموسى أنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو في حُشِّه - فتعالى الله عن ذلك - ولم يُجهد نفسه ببيان الصَّرح».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أن موسى بلغه أن ربَّه في العلو، وأنه فوق العرش، ولهذا قال لوزيره هامان: ﴿أَبْنِي صَرَخًا﴾ ﴿عَافِر: ٣٦﴾، ولو كان في كل مكان لما احتاج فرعون إلى هذا، فعُلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام - ومنهم موسى كليم الرحمن - جاؤوا بهذا، وأخبروا أممهم بأنَّ الله في العلو فوق العرش ﷻ.

؟ | الأسئلة:

- سؤال: الذين يقولون: إن الله في كل مكان، هل يكفرون بهذا؟
- الجواب: نعم، نسأل الله العافية.

- سؤال: وإن كانوا جُهَّالًا في هذا الأمر أي: يقولونه عن

جهل؟

- الجواب: يُنبَّهون ويُعلَّمون، فالجاهل يُعلَّم ويقال له: إنَّ هذا

كفر وضلال، وعليك التوبة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما الآي التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها، كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، فأخبر بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مُنَاجٍ، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فبدأ بالعلم، وختم بالعلم، فبيّن أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا، لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم في أسفل، وناظر إليهم في العلو، فقال: إني لم أزل أراكم، وأعلم مناجاتكم؛ لكان صادقاً، ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق. فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا: هذا منكم دعوى؛ خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر؛ هو معهم لا فيهم، ومن كان مع شيء خلا جسمه، وهذا خروج من قولهم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ لأن ما قَرُبَ من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد. وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] لم يقل: «في السماء» ثم قطع، كما قال: ﴿ءَأَمْنُم مِّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] يعني: إله أهل السماء، وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول: فلان أمير في خراسان، وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند، وإنما هو في موضع واحد، ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء، لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره؟! فهو إله فيهما إذا كان مدبراً لهما، وهو على عرشه وفوق كل شيء، تعالى عن الأشباه

والأمثال» اهـ^(١).

[كلام الإمام أبي عبد الله ابن خفيف]

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف^(٢) في كتابه الذي سماه: «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، قال في آخر خطبته: «فاتفت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله ﷻ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولاً واحداً، وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك، حتى قال: «عليكم بسنتي...»^(٣) وذكر الحديث، وحديث «لعن الله من أحدث حدثاً»^(٤)، قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف - وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم - إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا، كما نقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر، ولله المنة».

(١) ينظر: «فهم القرآن» للمحاسبي (ص ٢٤٨-٢٥١).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبي الفارسي الشيرازي، من مشايخ الصوفية، وله مؤلفات كثيرة، (٢٦٨هـ - ٣٧١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٤٦٠٧) والترمذي برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم: (٤٢).

(٤) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه، البخاري برقم: (٧٣٠٦) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٦٦).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أن إثبات أسماء الله وصفاته، والإيمان بذلك، وإمرار ذلك كما جاءت به النصوص على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل؛ هذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وأتباعهم بإحسان، ولم يختلفوا في هذا، وإنما اختلف فيه أهل البدع من الجهمية وغيرهم، وأما أصحاب رسول الله ﷺ فآمنوا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من أسماء الله وصفاته، وأثبتوها لله، وآمنوا بها، وأمرؤها كما جاءت عن عقيدة وإيمان، وقالوا فيها كما قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١]، ومدح الله من اتبعهم على هذا الطريق فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهم وأتباعهم بإحسان هم من سلكوا الطريق السوي، واستقاموا على منهج نبيهم ﷺ قولاً وعملاً وعقيدة في أسماء الله وصفاته، وتوحيده وإخلاص العبادة له، وترك ما خالف ذلك، وإن وقع منهم بعض الاختلاف في مسائل الفروع التي تتعلق بالصلاة أو بالطلاق أو بالنكاح أو ما أشبه ذلك؛ ولكنهم - بحمد الله - أجمعوا إجماعاً قطعياً على الإيمان بأسماء الله وصفاته، وتوحيده والإخلاص له، وترك ما خالف ذلك، ولم يتنازعو في هذا.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) ثم إني قائل - وبالله أقول - إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد، وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك مَنْ لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار مُعَوَّلُهُمْ على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السُّنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس، فتأوَّلوا على ما وافق هواهم، وصحَّحوا بذلك مذهبهم، احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين؛ خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له حتى حذرهم».

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القَدَر وغضبه^(٢)، وحديث: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ..»^(٣)، وحديث: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة..»^(٤)؛ فإن النّاجية ما كان عليه هو وأصحابه، ثم قال: «فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان، المعروفين بنقل الأخبار، ممن لا يقبل المذاهب المحدثه، فيتّصل ذلك قرناً بعد

(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) رواه ابن ماجه برقم: (٨٥)، وأحمد برقم: (٦٦٦٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال البوصيري في «مصابح الزجاجة» (٥٨/١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٣) رواه أبو داود برقم: (٤٦٠٥)، والترمذي برقم: (٢٦٦٣)، وقال: «حديث حسن». من حديث أبي رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) سبق تخريجه في (ص ٥٢).

قرن ممن عُرفوا بالعدالة والأمانة، الحافظين على الأمانة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة».

إلى أن قال: «فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجله؛ ذكر أسماء الله ﷻ في كتابه، وما بين ﷻ من صفاته في سنته، وما وصف به ﷻ مما سنذكر قول القائلين بذلك، مما لا يجوز لنا في ذلك أن نردّه إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أمرنا بالاستسلام له» إلى أن قال: «ثم إن الله تعرّف إلينا - بعد إثبات الوحداية، والإقرار بالألوهية - أن ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته، وأكد عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله، إلى أن قال «بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسى ﷺ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقال: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح ﷺ فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وأكد ﷺ صحة إثبات ذلك في سنته فقال: «يقول الله ﷻ: مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي»^(١)، وقال: «كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٢)، وقال: «سبحان الله رضا نفسه»^(٣)، وقال في محاجة آدم لموسى: «أنت الذي اصطفاك الله، واصطنعك

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٧٤٠٥)، ومسلم برقم: (٢٦٧٥).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، رواه البخاري برقم: (٧٤٠٤)، ومسلم برقم: (٢٧٥١).

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٧٢٦) من حديث جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لنفسه»^(١)، فقد صرَّح بظاهر قوله: أنه أثبت لنفسه نفساً، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى مَنْ صدَّق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه، ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا بقية الصفات، ومراده رَحِمَهُ اللهُ: أنه كما بيَّن لنا توحيده، وأنه مستحق للعبادة، وبيَّن بطلان الشرك، فهكذا بيَّن أسماء وصفاته حتى نعرفه بها سبحانه، فوجب على الأمة تقبُّل هذه الأسماء والصفات، والإيمان بها على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنؤمن بها ونمرُّها كما جاءت، على هذا المنوال وهذا الأساس، وأنه سبحانه لا يماثله شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ومن ذلك: «النَّفْس»، فقد ذكرها الربُّ ﷻ في كتابه، وذكرها رسوله ﷺ، فنشبتها كما جاءت: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَأَصْطَفَيْتَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فهذه الآيات وما جاء في معناها؛ كلها دالة على إثبات «النَّفْس»، وهكذا الأحاديث، فوجب على أهل الإيمان إثباتها، وأنها حق؛ لكنها ليست من جنس أنفس المخلوقين؛ بل لله ﷻ نفس، وسمع، و بصر، ورضا، و غضب، ورحمة، وغير ذلك، وكله يليق

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ، رواه البخاري برقم: (٤٧٣٦)، ومسلم برقم: (٢٦٥٢).

بالله ﷻ، لا يشابه صفات المخلوقين، وهكذا: وجهه، يده، وقدمه، وأصابعه، وغير ذلك؛ كلها طريقها واحد، فالواجب إثباتها، والإيمان بها، وأنها حق على الوجه اللائق بالله ﷻ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا طريق أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، خلاف أهل الكلام الذين تنطعوا، وقالوا ما ليس لهم به علم، وأولوا النصوص، وحقيقة ما قالوه التكذيب، نسأل الله العافية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه ﷺ بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ، وإن مما قضى الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك: أن قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، ثم قال عقيب ذلك: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، وبذلك دعاه ﷺ: «أنت نور السموات والأرض»^(١).. ثم ذكر حديث أبي موسى: «حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصرهم من خلقه»^(٢)، وقال: «سبحات وجهه»: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد^(٣). وقال: قال عبد الله بن مسعود: «نور السموات»: نور وجهه^(٤)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

«الحجاب» غير «السُّبُحات». حجاب مستقل، وهو نور أيضًا بائن من وجهه الكريم ﷺ؛ ولهذا قال: «لو كشفه».

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري برقم: (٧٣٨٥)، ومسلم برقم: (٧٦٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

(٣) ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١٧٣/٣)، و«العين» للخليل (١٥٢/٣). وقد سبقت ترجمتهما.

(٤) ينظر: «الرد على الجهمية» لابن منده (ص ٥٣).

■ سؤال: هل ثبت أن من أسماء الله «النور»؟

● الجواب: ما أعرف شيئاً من الروايات في هذا، ولا أذكر شيئاً سوى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك: «نور أنى أراه»^(١)، و«حجابه النور»^(٢).



(١) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) ثم قال: «ومما ورد به النص أنه «حيي»، وذكر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والحديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(٢) قال: «ومما تعرّف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهًا...» وذكر الآيات. ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم فقال: «في هذا الحديث من أوصاف الله ﷻ: «لا ينام» موافق لظاهر الكتاب: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وأن له وجهًا موصوفًا بالأنوار، وأن له بصراً، كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير. ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك. ثم قال: «ثم إن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت^(٣) ثم ذكر حديث: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله»، وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى: «يضع عليها قدمه»^(٤) ثم ما رواه مسلم البطين^(٥) عن ابن عباس: «أن الكرسي موضع القدمين»^(٦) وأن العرش

(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) رواه الترمذي برقم: (٣٥٢٤) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: «حديث غريب».

(٣) سبقت ترجمته وذكر شعره.

(٤) سبق تخريجه في (ص ١٩).

(٥) هو مسلم بن عمران - ويقال: ابن أبي عمران - أبو عبد الله الكوفي، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي، من الطبقة السادسة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٢).

(٦) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حين سئل عن صحة ذلك: «هكذا ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومثل هذا لا يقال بالرأي».

لا يقدر قدره إلا الله»^(١) وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السُّدي^(٢) وقول وهب بن مُنبه^(٣) وأبي مالك^(٤) وبعضهم يقول: «موضع قدميه» وبعضهم يقول: «واضع رجله عليه».

ثم قال: «فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ، متداولة في الأقوال، ومحفوظة في الصدور، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلى أن حدث في آخر الأمة مَنْ قَلَّلَ الله عددهم^(٥) ممن حَذَرْنَا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيِّع جنازتهم^(٦)، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس، وكفر

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الكوفي السدي، من أئمة التفسير، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٦٤).

(٣) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، أخو همام بن منبه، مشهور بالعبادة والزهد، (٣٤هـ - ١١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٤٤).

(٤) هو غزوان الغفاري الكوفي، روى عن بعض الصحابة، ووثقه ابن معين، من الطبقة الثالثة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣ / ١٠٠).

(٥) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «الله يقللهم، ويكفينا شرهم».

(٦) ومن ذلك: ما ورد في القدرية مجوس هذه الأمة، كما روى أبو داود برقم: (٤٦٩١)، وأحمد برقم: (٥٥٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وذكر ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (ص ٣٠٥): «أن أحاديث القدرية المرفوعة كلها ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها».

وقال سماحة الشيخ رحمه الله حين سئل عن ذلك: «جاء ذلك في عدة روايات، وأنهم مجوس هذه الأمة؛ وظاهر كلام الشيخ تقي الدين إثباتها؛ لأن لها طرقاً متعدّدة، يشد بعضها بعضاً».

المتقدمين، وأنكروا على الصحابة والتابعين، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل».

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنَجْدَةَ الْحُرُورِيِّ^(١)^(٢). ثم حديث الصُّورَةِ^(٣)، وذكر أنه صَنَّفَ فيه كتابًا مفردًا، واختلاف الناس في تأويله، ثم قال: «وسنذكر أصول السُّنَّة، وما ورد من الاختلاف فيما نعتقد فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله». ثم ذكر الخلاف في الإمامة، واحتج عليها، وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصَّدِّيق، وأنه أفضل الأمة. ثم قال: «وكان الاختلاف في خلق الأفعال: هل هي مقدرة أم لا؟» قال: «وقولنا فيها: إن أفعال العباد مقدرة معلومة»، وذكر إثبات القدر، ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة: الأسماء والأحكام، وقال: «قولنا فيها: أنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم»، وقال: «أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال»، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه. وقال: «قولنا: إنه يزيد وينقص». قال: «ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقًا وغير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة الله، منه بدأ قولًا، وإليه

(١) هو نَجْدَةُ بن عامر الحنفي الخارجي الحروري، رأس من رؤوس الخوارج، وزعيم فرقة النجدات، قتله أصحابه بعد أن انشقوا عنه وخرجوا عليه سنة (٦٩). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠).

(٢) ينظر: «صون المنطق والكلام» للسيوطي (ص ٨٨).

(٣) ولفظه: «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجنب الوجه» رواه البخاري برقم: (٢٥٥٩)، ومسلم برقم: (٢٦١٢) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يعود حكماً». ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: «قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى في القيامة»، وذكر الحجة.

ثم قال: «اعلم رحمك الله، أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود. فأقول: ونعتقد أن الله ﷻ له عرش، وهو على عرشه، فوق سبع سمواته، بكل أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ولا نقول: إنه في الأرض، كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده ثم يعرج إليه». إلى أن قال: «ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء».. إلى أن قال: «ونعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه^(١) إلى سدرة المنتهى^(٢) إلى أن قال: «ونعتقد أن الله قبض قبضتين^(٣) فقال: «هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار»^(٤) ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً، ونعتقد أنه أول شافع، وأول مُشَفِّع، وذكر الصراط، والميزان، والموت، وأن المقتول قُتِلَ بأجله، واستوفى رزقه».

-
- (١) قال سماحة الشيخ رحمته الله: «أي: بروحه وجسده، وليس مناماً، بل يقظة».
- (٢) كما روى البخاري برقم: (٣٨٨٧)، ومسلم برقم: (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.
- (٣) قال سماحة الشيخ رحمته الله: ««قبضتين» أي: قبضة للجنة، وقبضة للنار، يعني: خلق أهل الجنة ووفَّقهم لأعمالها، وخلق أهل النار وخذلهم ولم يوفِّقهم لأعمال أهل الجنة، نسأل الله السلامة».
- (٤) رواه أحمد برقم: (٢٢٠٧٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وينظر: «مجمع الزوائد» (١٢٠/٧) برقم: (١١٣٩٨).

قال المعلق رحمته الله:

وكل هذا يبين أن المؤلف محمد بن خفيف على طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات ما أثبتته أهل السنة والجماعة من جميع ما ذكر؛ من إثبات «الإيمان»، وأنه حق، وأنه يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأن العصاة تحت مشيئة الله؛ إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أدخلهم النار على قدر معاصيهم إذا ماتوا عليها. وهكذا ما ذكره من إثبات العرش، وأن الله فوق العرش كما يشاء سبحانه، وعلمه في كل مكان. وهكذا ما ذكر بعد ذلك من العروج بمحمد صلى الله عليه وسلم بنفسه إلى ما فوق السماء السابعة، كل هذا حق. وهكذا ما ذكر من خلق الجنة والنار، وأن الله خلقهما، وأنهما موجودتان للبقاء لا لفناء، أعد الجنة للمتقين، وأعد النار للكافرين. وهكذا ما بينه من أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو رحمته الله على طريقة أهل السنة والجماعة.

[وكذلك قال: «وأن المقتول قُتِلَ بأجله» ردًا على القدرية النفاة الذين يقولون: إنه قطع عليه أجله، وإن له أجلًا؛ لكن قطع عليه أجله، وهذا من أباطيلهم؛ لأن القدر سابق، وهذا قدر الله عليه أنه يقتل، وهذا قدر الله عليه أن يغرق، وهذا قدر الله عليه أنه يموت بالهدم، وهذا قدر الله أنه يموت بمرض، وهذا يموت بالسكتة، وهذا يموت بعدوان فلان.. إلى غير ذلك، فكل يموت بأجله، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤٩) [يونس: ٤٩]، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

فالمقصود: أن كل إنسان يموت بأجله قتيلاً أو مريضاً أو غير ذلك.]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) إلى أن قال: «ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: «ألا هل من سائل؟».. الحديث^(٢) وليلة النصف من شعبان^(٣) وعشيّة عرفة^(٤) وذكر الحديث في ذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أمّا ما يتعلق بليلة النّصف من شعبان؛ فالحديث فيه ضعيف، وقد خفي على المؤلف ابن خفيف رَحِمَهُ اللهُ، أمّا تنزُّله يوم عرفة فقد جاء هذا في صحيح مسلم: «أنَّ الله يدنو فيباهي بهم الملائكة» يعني: الواقفين بعرفة، وقال: «يدنو»، وليس فيه التصريح إلى سماء الدنيا، «إن الله يدنو فيباهي بهم الملائكة، ويقول: ما أراد هؤلاء؟»، والنزول آخر الليل هذا ثابت في الصّحاح عن النبي ﷺ: «أنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألني فأعطيه، مَنْ يستغفري فأغفر له»^(٥) وفي اللفظ الآخر: «هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى سؤاله؟ هل من تائب فيتأب عليه؟»^(٦) فكلُّ هذا حق.

(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) سبق تخريجه في (١٤٩).

(٣) رواه الترمذي برقم: (٧٣٩)، وابن ماجه برقم: (١٣٨٩)، وأحمد برقم:

(٢٦٠١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وقال الترمذي: «وسمعت محمداً -يعني:

البخاري- يضعف هذا الحديث».

(٤) رواه مسلم برقم: (١٣٤٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٥) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

(٦) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

أمّا ما يتعلق بالنصف من شعبان فالحديث فيها ضعيف، ولم يثبت في النصف من شعبان أحاديث؛ لا في قيامها، ولا في صوم نهارها، ولا في التنزل، فكلُّ ما ورد فيها هو ضعيف عند أهل العلم.

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال:** مَنْ كان له ورد يصومه كالإثنين والخميس، ووافق النصف من شعبان، هل له أن يصوم؟

● **الجواب:** نعم يصومه، فالأيام البيض والإثنين والخميس يصومها في شعبان وفي غيره، وليس عليه شيء.

■ **سؤال:** بعض المتأخرين من المحقّقين - وهو الشيخ ناصر الألباني - جمع طرق حديث: «إن الله ينزل في ليلة النصف من شعبان»^(١)، وقال: إنه صحيح.

● **الجواب:** يُراجع، وعلمي به أنه ليس بصحيح، تتبعته من قديم وليس بصحيح، وقد يغلط في بعض المسائل، وفي بعض الأحاديث.



(١) سبق تخريجه في (ص ١٩٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) ونعتقد أن الله تعالى كلَّم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، وأن «الخُلَّة» غير الفقر، لا كما قال أهل البدع».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

«الفقر» يقال له: خُلَّة أي: حاجة، فهم تأوَّلوها على «الحاجة» أي: أنه اتخذه فقيرًا إليه، وهذا غلط، فالخُلَّة هي: المحبة الخاصة، «اتخذ إبراهيم خليلًا» أي: محبوبًا محبة خاصة، كما اتخذ محمدًا عليه الصلاة والسلام خليلًا.

والله يُحِبُّ وَيُحِبُّ جَل وَعَلَا؛ وأهل البدع تأوَّلوها على إرادة الخير، وإرادة الإحسان، وهذا غلط؛ فإن «المحبة» صفة مستقلة غير «الإرادة»، تليق بالله، على الوجه اللائق به ﷻ، كما قال ﷺ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقد تكررت في القرآن الكريم، وجاءت في السنة، و«الخُلَّة» أعلاها وأكملها.



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد أن الله تعالى خصَّ محمدًا ﷺ بالرؤية، واتخذهُ خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الذي قاله أبو عبد الله ابن خفيف في «الرؤية» مرجوح، والصواب: أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه، ولم يختص بها، بل لم ير أحد ربه في الدنيا، لا محمد ولا غيره، فالرؤية مما ادّخرها الله للمؤمنين في الآخرة، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «واعلموا أنه لن ير أحد ربه حتى يموت»^(١)، ولما سئل عن الرؤية: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نورًا»^(٢)، وفي لفظ آخر قال: «نورٌ أنى أراه»^(٣)، فهذا هو الصواب، وأنه ﷺ إنما كلمه ربه كما كلم موسى، أما الرؤية فلم يره، وجاء في الحديث الصحيح حديث أبي موسى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٤) رَحِمَهُ اللهُ.

فالرؤية لها شأن عظيم، وهي أعلى نعيم أهل الجنة، ادّخرها الله لهم في الآخرة، وليست من نعيم الدنيا، فالدنيا دار الأكدار والأحزان، والمعاصي والكفر والضلال، [[ودار الابتلاء والامتحان، ودار التكليف والعمل؛ فلم تكن فيها رؤية لله ﷻ؛ ولذلك لما أراد

(١) رواه مسلم بعد حديث رقم: (٢٦٣١)، وأصله برقم: (١٦٩) من حديث ابن عمر رَحِمَهُمُ اللهُ.

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

(٣) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

(٤) سبق تخريجه في (ص ١٤٨).

موسى رؤية ربّه حصل ما حصل من دكّه ﷺ للجبل حتى سقط موسيمغشياً عليه، ولما سأل بنو إسرائيل رؤية ربهم أنكر الله عليهم ذلك في هذه الدار، فهو لا يرى في هذه الدار؛ ولكنه ﷺ يرى في الآخرة]]، وهي من نعيم أهل الجنة والسعادة في الآخرة.

والعجب من المصنّف رحمه الله كيف سكت عن هذا، ولم ينبّه عليه! كما لم يُنبّه على ما تقدّم من النزول في شعبان، فينبغي التنبيه على هذا، فهذا ليس بمسلّم لا هناك ولا هنا، **فالصواب**: أنه لم ير ربّه في الدنيا، وأحاديث النزول في شعبان ضعيفة، وقد نبّه على هذا ابن القيم وغيره.

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال**: الرؤية في النوم؟

● **الجواب**: رؤية النوم، غير مسألة الرؤية، فالرؤية في النوم أمرها آخر، فالإنسان في النوم يرى الآخرة، ويرى الجنة، ويرى النار، فالنوم أمره واسع.

■ **سؤال**: ما صحّة حديث رؤية النبي ﷺ لربّه في المنام؟

● **الجواب**: هو حديث اختصام الملاء الأعلى، والحديث رواه الإمام أحمد وجماعة من أهل السنن^(١)، وذكره ابن كثير وغيره عند تفسير الآية في «سورة ص»^(٢)، وبعضهم تكلم فيه؛ لكن لا بأس بإسناده، وقد ألّف فيه ابن رجب كتيباً سماه: «اختيار الأولى في

(١) رواه الترمذي برقم: (٣٢٣٣) وقال: «حديث حسن، وسألت محمد بن إسماعيل عنه فقال: حديث حسن صحيح»، وأحمد برقم: (٣٤٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (٧/٨٠).

شرح حديث اختصاص الملائكة بالأعلى».

■ **سؤال:** رؤية النوم هل يلزم منها التشبيه والتكييف؟

● **الجواب:** لا، هو على غير ما يرى، فإذا رآه على شيء؛ فالحال على خلافه؛ لأنه لا شبهة له. فالرؤية في المنام بمعنى: أنه رأى ربه؛ لكن ليس على الشيء الذي يخطر في باله أو أنه بصفة كذا أو بصفة كذا؛ لأنه جل وعلا لا شبهة ولا كفاء له ﷺ، فيسمع كلاماً، ويرى شيئاً، ولكن لا يكون هذا الشيء له مثل أو مشابه. وكذلك قوله في الحديث: «في أحسن صورة» لا يلزم منها أن يكون مشابهاً لأحد.

■ **سؤال:** ألا يعارض رؤية الله في المنام حديث: «واعلموا أنه لن ير أحد ربه حتى يموت»^(١)؟

● **الجواب:** لا تعارض، فهذه المقصود بها رؤية البصر، ورؤية العيان يعني: في الحقيقة].

■ **سؤال:** ألا يستدل على عدم رؤية الله في الدنيا بعموم الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]؟

● **الجواب:** نعم، كذلك حجة قائمة.

■ **سؤال:** هل مثل هذه الأشياء تثبت إذا كان درجة الحديث من قبيل الحسن لغيره؟

● **الجواب:** قد يقع؛ لكن باب الصفات باب عظيم، وليس من الفضائل، فينبغي أن يُعتنى به أكثر.



(١) سبق تخريجه في (ص ١٩٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) ونعتقد أنَّ الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب، لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وأما ما يقال من معرفتهم الجنين ذكراً أو أنثى؛ فهذا بعدما يتخلَّق؛ بعدما يأذن الله للملك أن يخلِّقه ذكراً أو أنثى، وبعد أن اطلع عليه الملك صار العلم مشتركاً، ولم يعد من خصائص الله، وهذا ممكن بالآلات أن يطلعوا على شيء من هذا بعد التخليق، أمَّا قبل ذلك فلا].



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد المسح على الخفين ثلاثاً للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وذكر «المسح» هنا؛ لأنه مخالف لعقيدة الرافضة في إنكار «المسح»، فلهذا ذكر أهل السنة «مسح الخفين» هنا، وإن كانت مسألة فرعية، لكن لما كان أهل الرفض يخالفون فيها؛ أثبتوها في عقائد أهل السنة.

؟ | الأسئلة:

[■ سؤال: خلاف مالك في المسح على الخفين؟]

● الجواب: مَنْ خالف في ذلك فقله ضعيف].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد الصبر على السلطان من قريش على ما كان من جَوْر أو عدل ما أقام الصلاة من الجُمع والأعياد، والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «من قريش»^(١) ليس بجيد، وإن كان هو الأصل؛ لكن السلطان يُصْبِرُ عليه ولو من غير قريش، إذا تَوَلَّى لا يُخْرَج عليه بالمعصية، «إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان»^(٢)، سواء من قريش، أو من المماليك، أو من أي جنس، متى تَوَلَّى على الناس وبايعوه أو غَلَبَ عليهم بسيفه؛ وجب السمع والطاعة له، كما جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن البيعة الاختيارية تكون لقريش إذا تيسر من يصلح لهذا وأمكن.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: مَنْ كان من قريش لا يختار غيره مع وجوده؟

● الجواب: هو الظاهر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «الأئمة من قريش»^(٣)، فإذا وجد من هو صالح لهذا الشيء عند الاختيار فيقدم، كما جاءت به السنة].

(١) لعله يعني: به حديث الأئمة من قريش الذي رواه ابن أبي شيبه من حديث علي وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخرجهما في المصنف برقم (٣٢٣٩٧) (٤٠٣/٦) وبرقم (٣٢٣٨٨) (٤٠٢٩/٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٢٨).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» برقم: (٥٩٠٩)، وأحمد برقم: (١٢٣٠٧) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وينظر: «البدر المنير» (٨/ ٥٣٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[ووجه ذكر «التراويح» مع مسائل الاعتقاد: لعل ذلك لأجل أن بعض الناس أنكر ذلك، وقال: إن الرسول ﷺ ما فعلها، فهو يرد على مَنْ أنكر ذلك، إن وُجِدَ مَنْ أنكر ذلك، وإلا فلا أتذَكَّرُ مَنْ أنكر ذلك من أئمة الحديث؛ لأن الرسول ﷺ فعلها^(١) ثم فعلها الصحابة].



(١) كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المتفق عليه، رواه البخاري برقم:

(١٤٧)، ومسلم برقم: (٧٨١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونشهد أن مَنْ ترك الصلاة عمداً فهو كافر».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من ابن خفيف يدل على علم كبير؛ كونه أقدم على هذا مع كثرة المنازعين فيه يدل على قوة تحقيق، وكمال علم؛ لقول ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(١)، وفي اللفظ الآخر: «بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة»^(٢).



(١) رواه الترمذي برقم: (٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي برقم:

(٤٦٣)، وابن ماجه برقم: (١٠٧٩) من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم برقم: (٨٢) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والشهادة والبراءة بدعة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

هذه عبارة مُجملة، لا أدري ما مراده بها، لكن تحتل أنها الشهادة لأحد معيّن بجنة أو نار، أو البراءة من مُعيّن إلا بدليل، كما قال أهل السُّنة والجماعة؛ [فإنهم لا يشهدون لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، وهكذا لا يبرؤون من شخص بآرائهم وأهوائهم؛ بل بحسب النصوص، فإن كان مراده شيئاً آخر فالله أعلم به].

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال:** ألا يكون المراد: البراءة عند الرافضة الذين يتبرؤون من أبي بكر وعمر؛ كما ذكر ذلك شارح الطحاوية؟

● **الجواب:** البراءة لا تختص بأبي بكر وعمر، فالبراءة من أولياء الله منكر عظيم حتى من غير أبي بكر وعمر.

■ **سؤال:** هل يقال لمن استشهد: هذا شهيد؟

● **الجواب:** نعم، إذا قتل في سبيل الله فهو شهيد في الحكم الشرعي، أما فيما بينه وبين الله؛ فالله يتولاه ﷻ؛ لكنه شهيد، لا يُغسل ولا يُصلّى عليه إذا قتل في سبيل الله شهيداً.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والصلاة على مَنْ مات من أهل القبلة سُنَّة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ولو كان عنده معصية يُصَلَّى عليه، فَمَنْ مات من أهل القبلة - يعني: من أهل الإسلام - فيصَلَّى عليه، وإن كان عنده شيء من المعاصي، فليس من شرط الصلاة على الجنازة: أن يكون كاملاً أو سليماً؛ بل يُصَلَّى على الطيب، وعلى العاصي؛ لأن الصلاة شفاعة تنفعه.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ولا ننزل أحدًا جنة ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم، والمرء
والجدال في الدين بدعة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[والمرء والجدال متقاربان في المعنى، لكن المرء أشد،
فالجدال إذا اشتد صار مرء].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله، ونترحم على عائشة ونترضى عنها. والقول في اللفظ والملفوظ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «**والقول في اللفظ والملفوظ**» أي: قول: «لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق»؛ لأن هذا فيه إجمالاً، ولهذا أنكر السلف على مَنْ قال هذا؛ [لأن أهل البدع قد يتوسّلون بهذا إلى القول بخلق القرآن، ويقصدون باللفظ: القرآن، ويتوسّلون بهذا إلى هذه البدعة الكفرية، ولكن يصرّح فيقول: صوتي مخلوق، ولا يقول: لفظي، وأما الملفوظ وهو القرآن فليس بمخلوق، فيوضح ويفصّل ولا يجمل].
[وكذلك «القول في الإيمان»: مخلوق أو غير مخلوق بدعة»؛ لأن فيه إيهاماً، ف«الإيمان» فيه قراءة القرآن، و«الإيمان»: قول وعمل، فإذا قال: «مخلوق» فقد يوهم أنما يقرأه الإنسان في الصلاة يكون مخلوقاً، ويكون هذا من دسائس أهل البدع. وأما أفعال الناس وأقوالهم وركوعهم وسجودهم وحركاتهم فكلها مخلوقة، ونفس إيمانهم - أي: تصديق قلوبهم - مخلوق؛ لأنه من أعمالهم، لكن لما كان فيه شيء من قراءة القرآن فقد يُلبّس بعض الجهمية ونحوهم فيقول: قولكم: «الإيمان مخلوق» يدخل فيه القرآن؛ فيلبّس على الناس، فلهذا أنكر هذا القول حتى لا يقع التلبيس، والواجب التفصيل، وهكذا «لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق»، و«الاسم والمسمى»، كلها لا بد فيها من التفصيل].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) وأعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملًا من غير استقصاء؛ إذ تقدّم القول من مشايخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة، إلا إنني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوّفة فيما أحدثته طائفة نُسبوا إليهم ما قد تخرّصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وقصده من هذا: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي تلقوها عن سلف الأمة من الصحابة، وأن هؤلاء الذين يُنسبون إلى التصوّف من أهل الزهد والورع والاستقامة؛ ليسوا على حال المتأخرين الذين غيّرُوا وبدّلُوا.

فمقصوده: أن المتصوّفة قسمان: قسم ساروا على نهج السلف، ونُسبَ إلى التصوّف منهم مَنْ نُسبَ؛ لورعه وزهده وإقباله على العبادة؛ ولكنه متمسك بطريقة أهل السنة والجماعة، كالجنيد^(٢)، وأبي سليمان الداراني^(٣)، وبِشْر الحافي^(٤)، وأشباههم من أهل الصدق. أمّا الذين غيّرُوا وبدّلُوا، وأحدثوا بدعًا كثيرة؛ فهؤلاء ليسوا منهم في الحقيقة.

(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، إمام عالم في طريقة التصوف، وإليه المرجع في السلوك في زمانه وبعده، (٢١٥هـ - ٢٩٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٦٦).

(٣) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني، من أعلام التصوّف السُّني، (١٤٠هـ - ٢١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٢٦).

(٤) سبقت ترجمته.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

إلى «^(١) أن قال: «وقرأت لمحمد بن جرير الطبري»^(٢) في كتاب سماه: «التبصير»، كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم، وسأله أن يُصنّف لهم ما يعتقد ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة، فبيّن أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أن ادّعى على الطائفة ابن أخت عبد الواحد بن زيد - والله أعلم بمحله عند المخلصين فكيف بابن أخته؟! وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة، كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه - وليس فيه حديث يناسب ذلك - ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أن لفظ «الصوفية» وعلومهم تختلف؛ فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ حسير».

ثم ذكر إطلاقهم لفظ «الرؤية» بالتقييد فقال: «كثيراً ما يقولون: رأيت الله. يقول: وذكر عن جعفر بن محمد^(٣) قوله - لما سئل: هل

(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، كان من الأئمة الكبار، ومرجعاً في التفسير والتاريخ، (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٢ / ١٤).

(٣) هو جعفر بن محمد بن نصير البغدادي، المعروف بالخواص، شيخ الصوفية، صاحب الجنيد والجري، (٢٥٢هـ - ٣٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٥٥٨).

رأيت الله حين عبدته؟ - قال: رأيت الله ثم عبدته، فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان». ثم قال: «وأنه تعالى يُرى في الآخرة، كما أخبر في كتابه، وذكره رسوله ﷺ، هذا قولنا وقول أئمتنا، دون الجُهَّال من أهل الغباوة فينا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ومراده رَحِمَهُ اللهُ: أن لهم اصطلاحات قد لا يفهمها بعض الناس، فينسبون إليهم ما هم بُراء منه، وفيهم جُهَّال قد لا يتقيدون بالسُّنة، وما عليه سلف الأمة، وهو صادق في هذا كلّه، وكان ينبغي لهم ألا يأتوا بألفاظ مبهمّة، ولا بألفاظ تستنكر عليهم؛ بل ينبغي أن يسلكوا الطريق الواضح؛ حتى لا يتهموا بالباطل، أما «اللوم» فإنهم يلامون عليه فيما أحدثوا من الإشارات والاصطلاحات التي قد لا يفهمها مَنْ لا يعرف حالهم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«^(١) مما نعتقد أن الله حَرَّمَ على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حَجَّة الوداع^(٢) فَمَنْ زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحقُّ له ما حظر على المؤمنين - إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس - لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات؛ فذلك كفر بالله، وقائل ذلك قائل بالإباحة، وهم المنسلخون من الديانة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا مثل ما قال المؤلف: مَنْ زعم أن له صلة بالله، وأنه يروي بقلبه عن ربِّه ممَّا يظنه أولئك الجُهَّال من الصوفية، حتى يُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله، ويُحَرِّموا ما أحلَّ الله على الناس بزعمهم أنهم تلقَّوه عن ربهم؛ فهذا من الكفر والضلال، فليس هناك وحي بعد رسول الله ﷺ؛ بل قد انقطع الوحي، وتمت الرسالة وختمت. فالواجب على جميع الناس أن يتلقَّوا دينهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعن كتاب الله، فَمَنْ زعم من الصوفية أن له طريقة أخرى يتلقَّى بها العلم عن الله دون الرسول ﷺ؛ فهذه طريقة فاسدة وباطلة، بل كفر وضلال وخروج عن دائرة الإسلام، نسأل الله العافية.



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) جاء هذا عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، منهم: أبو بكره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (١٧٤١)، ومسلم برقم: (١٦٧٩).

قال المؤلف رحمته الله:

«وإن مما نعتقده: ترك إطلاق تسمية العشق على الله تعالى،
وبيّن أن ذلك لا يجوز؛ لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال:
أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية».

قال المعلق رحمته الله:

وصدق رحمته الله، فلا يقال: «عشقتُ الله»؛ ولكن يقال: أحببت
الله؛ لأن «العشق» كلمة مجملة، وتقع في السنة المفسدين والسفهاء
في العشق المحرّم، والمحبة المحرّمة، فلا يوصف الله إلا بما
وصف به نفسه؛ وهو «الحب»: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فلا يؤتى
بألفاظ مُحدّثة لم ترد في النصوص؛ ولكن يقول: أحبُّ الله ورسوله،
وأحببت الله ورسوله؛ لأن هذا هو الذي جاء في النصوص. [وهكذا
«الشوق» جاء في النصوص، كما في حديث: «اللهم إني أسألك لذّة
النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك»^(١)].



(١) رواه النسائي برقم: (١٣٠٥)، وأحمد برقم: (١٨٣٢٥) من حديث عمار بن
ياسر رضي الله عنه. وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢/٣٤٢): «رجال إسناده ثقات».

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وإن مما نعتقده: أَنَّ الله لا يحلُّ في المرئيات، وأنه المتفرد
بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الحقُّ؛ أَنَّهُ سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق،
وليس حالاً في المخلوقات؛ بل هو فوق العرش فوق جميع الخلق،
بائن من خلقه ﷻ، وهذا هو قول أهل السُّنة والجماعة، وهو قول
أهل الحقِّ، وهو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسُّنة، فما
قاله أبو عبد الله بن خفيف هو الصواب في هذا، كما تقدَّم أيضاً.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

(١) «وأن القرآن كلامه غير مخلوق حيث ما تلي ودرس وحفظ. ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلاً وحبيباً» (٢)، و«الخُلَّة» لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: أن «الخُلَّة»: الفقر والحاجة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

«الخُلَّة» عند أهل السنة هي أعلى المحبة، وليست الفقر والحاجة، كما يقول بعض الصوفية؛ بل «الخُلَّة» هي بمعنى المحبة الخالصة الكاملة.

والقرآن: هو كلام الله - كما قال المؤلف - منزّل غير مخلوق عند أهل السنة والجماعة، والخليان هما: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، خصّهم الله بأعلى المحبة وأكملها، وهو سبحانه يحب كل مؤمن وكل مؤمنة، ويحب جميع الرسل والأنبياء، لكن اختصّ هذين الشخصين - وهما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام - بالخُلَّة؛ وهي أعلى المحبة.



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) فقد ورد عن جنّاب ﷺ أنه قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلاً، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً...» الحديث، رواه مسلم برقم: (٥٣٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

^(١) «إلى أن قال: «والخُلَّةُ والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخُلَّة جائز عليها الكيف، فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا قول أهل السنة والجماعة، فهي خُلَّةٌ تليق بالله، ومحبة تليق بالله، لا تشابه خُلَّةَ المخلوقين، ولا محبة المخلوقين، وهكذا بقية الصفات كلها تليق بالله على وجه لا يماثل فيه خلقه، فالكيفية منتفية.



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

(١) «ومما نعتقده أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرّم الله الغش والظلم، وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، إنما حرّم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا - كما قال المؤلف - هو الحق، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فالله أباح المكاسب والصناعات من النجارة والحدادة والخرازة وغير ذلك، وكل ما ينفع العباد، وإنما حرّم المكاسب الخبيثة، كالغش، والخيانة، والربا، ونحو ذلك، أما المكاسب المباحة والعقود المباحة من الإجازات والبيوع وغير ذلك؛ فالله أباحها للعباد؛ ليستعينوا بها على طاعته، وأداء حقه ﷺ.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: الذين يتركون البيع والشراء تورعاً؟

● الجواب: لا وجه لهذا، فقد باع النبي عليه الصلاة والسلام واشترى (٢)، وباع الصحابة واشتروا، وهم خير الناس.



(١) لا يزال الكلام لابن خفيف.

(٢) ينظر: «زاد المعاد» (١/١٥٤).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وإن مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام؛ فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع، ويكثر في موضع، لا أنه مفقود من الأرض».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من التكلف، وسوء الظن، فالله أباح «الحلال» وأمر به، وهو موجود بحمد لله، فمن زعم أنه انتزع من الأرض؛ فقد غلط وضلّ، ف«الحلال» موجود يجده من طلبه في المكاسب الشرعية المباحة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومما نعتقده أننا إذا رأينا مَنْ ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، وجائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عما قاله، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز، إلا مَنْ داخل الظلمة، ومَنْ ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقي، كما سأل الصديق غلامه^(١)، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطاً فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبّه، فمَنْ سأل استبرأ لدينه، كما فعل الصديق».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ومعنى هذا: أن الأصل «الإباحة»، فمَنْ ظاهره الخير لا يظن به السوء، فيأكل طعامه، ويشرب شرابه، ومَنْ تلبّس بشيء من الحرام وسئل عن ذلك فلا بأس؛ ولكن عليه أن يستبرأ من الحرام، ويبعده عن ماله، وينتفع بالحلال، فإذا دخل عليه مال من الحرام - من سرقة أو من خيانة أو من غير ذلك من طُرُق الحرام - استبرأ وأبعده من ماله بالتحري والظن، وأكل البقية سليماً لا حرج فيه، والتوبة تجب ما قبلها.

(١) رواه البخاري برقم: (٣٨٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، في قصة استقاء أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين أكل من مال غلامه الذي أعطيه ثمن تكهّنه.

؟ | الأسئلة:

■ **سؤال:** من كان يُعرف بالتعامل بالربا، أو ببيع آلات محرمة، أو عنده محل غناء، هل يتورع من الدخول عليه أو ماله؟

● **الجواب:** الواجب أن يُنكر عليه، ويستحق الهجر، وأقل شيء استحباب الهجر له، حتى يتوب من أعماله السيئة، فَمَنْ ظاهره الفسق يستحق أن يُهجر، واختلفوا في الوجوب، ولكن نقول: إنه يستحق أن يهجر إذا كان الهجر ينفع، وإن كان الهجر لا ينفع؛ فإنه يُوالى عليه النصح والتوجيه والإنكار حتى يستقيم، وإذا اختلط الحلال بالحرام جاز له؛ لأنه لا يعلم أين الحرام.

■ **سؤال:** لو صنع لي هذا المجاهر بالمعصية معروفاً، فهل أدعو له؟

● **الجواب:** تكافئه على معروفه، فتدعو له بالهداية والتوفيق.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة^(١)، والناس طبقات، والدِّين: الحنيفية السمحة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «الناس طبقات» أي: فيهم الطيب والخبِيث، وفيهم الصالح والطالح، وفيهم مَنْ يُتَّهَم وَمَنْ لَا يُتَّهَم، فالمؤمن يتحرَّى الخير، وينصح لله ولعباده، ولا بأس أن يسأل عند وجود الريبة.



(١) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» برقم: (١٤٦٧٥) (١٤٦٧٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وإنَّ مما نعتقد: أن العبد ما دامت أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل مَنْ ادَّعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه، ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كلام صحيح؛ فإنَّ العبد ما دامت أحكام العبادات والتكاليف جاريةً عليه؛ فإن الواجب عليه أن يخاف ويرجو، وليس له أن يأمن، وليس له أن يقنط، بل يكون بين الرجاء والخوف، ما دام عقله معه، وما دامت أحكام التكليف جاريةً، أما إذا ذهب عقله بأن هَرِمَ - يعني: خَرَّفَ - أو جُنَّ؛ فيسقط عنه هذا، لكن ما دام عقله معه؛ فإنَّ عليه أن يخاف ويرجو، فلا يجوز له أن يقنط بسبب معاصيه، وليس له أن يأمن بسبب طاعاته، ويعجب بنفسه، ويقول: إنه ناج؛ بل يخاف ويرجو، ويسير إلى الله بين الخوف والرجاء، فيسأل الله أن يتقبل منه، وأن يعينه من غضبه وأسباب عذابه، و يرجو رحمة ربِّه جل وعلا، هذا هو الواجب على المؤمن، ولهذا قال الله جل وعلا عن أهل الخير من الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال في أهل الصلاح: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهكذا الرسل وأتباعهم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عَقِلَ، وَعَلِمَ ما له وما عليه، فيبقى على أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وَمَنْ زعم أنه قد خرج عن رِقِّ العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية، والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الآخرة؛ فهو كافر لا محالة، إلا مَنْ اعتراه علة أو رأفة فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً وقد اختلط عقله أو لحقه غشية ارتفع عنه بها أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشرعة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الذي قاله ابن خَفِيف صحيح أيضاً، قاله أهل العلم؛ فَمَنْ زعم أنه بعلمه أو بدرجة من العلم أو بمنزلة من العلم أو بوصف يتَّصف به من أهل العلم يخرج عن التكليف، ويبقى حراً له أن يفعل ما يشاء، فلا يصلي، ولا يصوم، وله أن يزني، وله أن يفعل كل شيء؛ فهذا مُلحدٌ في الدين، وزنديق كافر بالله بإجماع المسلمين - نعوذ بالله -؛ لأن المؤمن ليس لعمله أجلٌ إلا الموت - إلا إذا اختل عقله - قال الله تعالى للنبي ﷺ وهو أفضل الخلق: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. فلا بد من العمل حتى يأتي الموت، ولا يسقط التكليف عن أحد من الناس؛ لأنه بلغ من العلم كذا، أو من العبادة كذا، أو من العمر كذا، إلا إذا جُنَّ أو خَرَفَ وتغيَّر عقله؛ فيسقط التكليف حينئذ، وأما أنه في منزلة فتسقط التكاليف، فلهم أن يفعلوا ما يشاؤون من المعاصي، ولهم أن يدعوا الصلوات والصيام، فهذا جنون وبلاء، وهذا من الكفر البواح، والعياذ بالله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمَنْ زَعَمَ الإِشْرَافَ عَلَى الْخَلْقِ يَعْلَمُ مَقَامَاتِهِمْ وَمَقَادِرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ - بغير الوحي المنزَّل من قول رسول الله ﷺ - فهو خارج عن المِلَّة، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مَالِ الْخَلْقِ وَمَنْقَلِبَهُمْ، وَعَلَى مَاذَا يَمُوتُونَ عَلَيْهِ وَيَخْتَمُ لَهُمْ - بغير الوحي من قول الله وقول رسوله - فقد باء بغضب من الله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا حق مثلما قال المؤلف؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَشْرَفُ عَلَى أُمُورِ الْخَلْقِ وَمَقَامَاتِهِمْ، وَيَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بغير الوحي، فهذا ضال مضل كافر ملحد، يدَّعي علم الغيب، وهكذا مَنْ يزعم أنه يعلم أُمُورِ النَّاسِ، وَمَتَى يَمُوتُونَ، وَمَتَى يَبْعَثُونَ، كل هذا ردة عن الإسلام؛ لأنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ثم قال: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ إِشْرَافًا عَلَى الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِالْخَلْقِ، أَوْ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ وَأَوْقَاتَ مَوْتِهِمْ وَنَهَايَةَ أَجَالِهِمْ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مُصِيرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنَازِلَهُمْ، فهذا إما مجنون من المجانين والمعاتيه، وإما زنديق مرتد كافر. وهذه غرائب عند جمع من الصوفية، يقعون في مثل هذه البلاوي والمحن، فَمَنْ زَعَمَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَهُوَ يدَّعي الإسلام فهو مرتد.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والفراسة حق على أصول ما ذكرناه، وليس ذلك مما رسمناه في شيء. وَمَنْ زعم أن صفاته تعالى بصفاته - ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية - وأشار إلى صفاته ﷻ القديمة؛ فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «وَمَنْ زعم أن صفاته تعالى بصفاته» هذه عبارة مجملة، كأنه يشير بهذا أن صفاته كصفاته أي: كصفات المخلوقين، أو أنها متصفة بصفات المخلوقين أي: أن الخالق حلّ في المخلوق، وهذا لا شك أنه إلحاد وزندقة نعوذ بالله؛ لكن العبارة فيها بعض القلق.

والمقصود: من هذا كله: بيان أن صفات الربّ غير صفات المخلوقين، وأن الله سبحانه بصفاته بائن من خلقه، ومستقل عن خلقه، فوق عرشه، فوق جميع الخلق، لا تشبه صفاته صفات خلقه، بل هو سبحانه الكامل في ذاته وفي جميع صفاته، منزّه عن مشابهة المخلوقين في كل شيء، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (النّور: ١١)، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤)

وإنما ذُكِرَت «الإشارة» - في بعض الأحاديث - للصفة من باب التحقيق، كما ذكر عند حديث: «يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع»^(١) ويشير إلى أصابعه؛ يعني: من باب التحقيق^(٢) وأنها أصابع حقيقة. وهكذا الإشارة إلى العين وإلى

(١) رواه البخاري برقم: (٤٨١١)، ومسلم برقم: (٢٧٨٦).

(٢) ينظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/٤٦٢).

السمع^(١) المراد: إثبات أنه حق، وأنه سمع حقيقة، وبصر حقيقة، وإصبع حقيقة، ويد حقيقة، وليس المراد التشبيه والتمثيل.



(١) رواه أبو داود برقم: (٤٧٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: «عن أبي يونس مولى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه». وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٣٧٣/١٣): «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم».

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومَن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وذلك لأن الأرواح جملة من خَلَقَ اللهُ خلقها سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فأرواح الحيوانات، وأرواح بني آدم، وأرواح الجن، وجميع الأرواح كلها مخلوقة لله، مربوبة له، تُنْعَمُ وتُعَذَّبُ، ويصيبها ما يصيب غيرها، فالله ﷻ خالقها، فأرواح الأخيار، وأرواح الأشرار، وأرواح العقلاء، وأرواح البهائم؛ كلها مخلوقة له ﷻ.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن قال: إن شيئاً من صفات الله حالٌ في العبد، أو قال بالتبعض على الله فقد كفر».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

فليس في المخلوقات شيء من ذات الله، بل الله سبحانه بجميع صفاته مستقل بائن من خلقه جل وعلا، ليس في ذاته شيء من خلقه، وليس في خلقه شيء من ذاته جل وعلا، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»^(١).



(١) ينظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/١١١)، و«الإبانة» لابن بطّة (٧/١٥٥) برقم: (١١٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا حالٌ في مخلوق، وأنه
 كيفما تُلي وقرئ وحُفِظ فهو صفة الله ﷻ، وليس الدرس من
 المدروس، ولا التلاوة من المتلو؛ لأنه ﷻ بجميع صفاته وأسمائه
 غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أن القرآن هو كلام الله، وإن كان حالاً في الصدور من
 جهة الحفظ، فليس هو كلام مخلوقين؛ فإن المخلوق يتلوه على أنه
 كلام الله، ويحفظه على أنه كلام الله، ويكتبه على أنه كلام الله،
 ويسمعه على أنه كلام الله، فكيفما تصرّف فهو كلام الله ﷻ مقروءاً
 أو محفوظاً أو مكتوباً أو مسموعاً، هو كلام الله من جميع النواحي،
 أنزله على نبيه ﷺ.



قال المؤلف رحمته الله:

«ونعتقد أن القراءة الملحّنة بدعة وضلالة، وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين، وصفة المتقين؛ فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المريّيات، ونعت المخلوقات؛ فاستماع ذلك على الله كفر. واستماع الغناء والربيعيات^(١) على الله كفر، والرقص بالإيقاع، ونعت الرّقاصين على أحكام الدّين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب. وحرام على كل من يسمع القصائد والربيعيات الملحّنة - الجاري بين أهل الأطباع - على أحكام الذّكر إلا لمن تقدّم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك، وما لا يليق به ﷻ مما هو منزّه عنه فيكون استماعه كما قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الرّؤى: ١٨] الآية. وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله؛ فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز، إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به ﷻ مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف؛ بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء والربيعيات بدعة، وذلك مما أنكره المطّليبي^(٢) ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، والاقْتداء

(١) قال سماحة الشيخ رحمته الله: «الربيعيات: أبيات كانت عند الصوفية على نمط أربعة فواصل، فهي رباعية لا ثنائية ولا ثلاثية، وكل شطر مستقل؛ حتى يكون البيت على أربعة أقسام، كأنه يريد هذا، والله أعلم».

(٢) قال سماحة الشيخ رحمته الله: «المطّليبي يعني: الشافعي رحمته الله؛ لأنه من بني المطّلب».

بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

هذه العبارات فيها بعض الإجمالات، ومراده: أن التلحين في القرآن والتمغيط والزيادة في الكلام لا يجوز؛ لأنه يخرج القرآن عن موضعه، وإنما المشروع الترتيل والعناية في إعطاء الحروف حقَّها، أما التلحين الذي يخرج القرآن عن وضعه بالزيادات الكثيرة، أو تشبيهه بالأغاني، وتضييع أوقات الناس في غير طائل؛ فهذا ممنوع.

وكذلك ما يتعلق بالتعبد بالأغاني، وما أحدثه الصوفية من ربهيات في أشعارهم وغير ذلك؛ إن كان ذلك على وجه التعبد فقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه كفر؛ لأنه استحلال لما حَرَّمَ الله من البدع المنكرة التي أجمع العلماء على إنكارها، وكل مَنْ استحل ما حَرَّمَ الله مما أجمع عليه المسلمون كاستحلال الزنا أو الخمر يكون كافراً كفرةً أكبر، نسأل الله العافية.

والتعبد بهذه البدع من البدع أيضاً، فالتعبد بالرقصات والأغاني بمدح فلان وفلان أو بمدح النساء أو غير ذلك، هذا أيضاً من البدع، ومن المنكر.

أما الأشعار التي في مدح الخير والدعوة إلى الخير على لحون العرب وطريقتهم فهذا لا بأس بها، كما أنشد حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرسول ﷺ في هجو المشركين، وكما أنشده كعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحَةَ، فالأشعار البعيدة عن الشر لا بأس بها، فالشعر حسنه حسن، وقبيحه قبيح، ومراده بهذا: التفصيل في هذه الأمور، وإن كانت عبارته فيها بعض الإجمال؛ لكن مراده رَحِمَهُ اللهُ: التفصيل في هذه الأمور.

؟ | الأسئلة:

- **سؤال:** ما حكم الاستشهاد بالأشعار في خطبة الجمعة؟
- **الجواب:** ما فيه مانع، إذا كان شعرًا شرعيًا سليمًا ما فيه شيء، إن من الشعر حكمة^(١).
- **سؤال:** ما حكم التلحين في الأذان؟
- **الجواب:** لا ينبغي؛ بل يكون سمحًا في الأذان، فلا يطوّل، ولا يملأ.
- **سؤال:** ما حكم استشهاد بعض النحاة ببعض الآيات الرديئة؟
- **الجواب:** إذا كانت عن العرب، والمقصود منها النحو فقط؛ فلا يضر، من باب الفائدة من جهة القواعد العربية، مع التنبيه على ما فيها من الخطأ.



(١) رواه البخاري برقم: (٦١٤٥) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وبلغني أنه قيل لبِشْر بن الحارث: «إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له: القصائد، فقال: مثل أيش؟ قال: مثل قوله:

اصبري يا نفس حتى تسكني دار الجليل
فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال:
قلت: ببغداد، فقال: كذبوا، والله الذي لا إله غيره، لا يسكن
ببغداد من يستمع ذلك».

قال أبو عبد الله^(١) «ومما نقول وهو قول أئمتنا: إِنَّ الْفَقِيرَ إِذَا
احتاج وصبر ولم يتكفَّف^(٢) إلى وقت يفتح الله له كان أعلى، فَمَنْ
عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله رَحِمَهُ اللهُ: «لأن يأخذ
أحدكم حَبْلَهُ...» الحديث^(٣).

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من
التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، وَمَنْ جعل السؤال حرفة
وهو صحيح؛ فهو مذموم في الحقيقة خارجٌ.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[أي: خارج عن طريق أهل السنة، وعن طريق الصواب -
والمؤلف له عبارات شديدة، لكنها محمولة على المعنى اللائق -]

(١) هو ابن خفيف.

(٢) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «ولم يتكفَّف أي: لم يسأل، يقال: كَفَّفَ أي: رفع
كفه، وتكفَّفَ الناس: رفع كَفَّهُ إليهم؛ لأن العادة من السائل أن يمدّه كَفَّهُ هكذا
ويقول: يا إخواني.. يا إخواني».

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ، رواه البخاري برقم: (١٤٧٠)، ومسلم
برقم: (١٠٤٢).

وهذا هو الحق؛ فإن المؤمن مأمور بالعمل والكسب، كما قال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله»^(١) وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها فيكفَّ به وجهه خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه»^(٢) ولما سئل: «أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»^(٣) وقال: «ما أكل أحد طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري^(٤).

فلا ينبغي له ترك العمل، بل ينبغي له أن يتسبَّب ويعمل، ولا يسأل الناس؛ فسؤال الناس مذموم؛ [كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة، وليس في وجهه مزعة لحم»^(٥)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «من سأل الناس أموالهم تكثراً؛ فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر»^(٦)، إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك، ولهذا في حديث سُمرة رضي الله عنه: «إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في أمر لابد منه» أخرجه الترمذي^(٧)، وصححه وجماعه.

والحاصل: أنه ينبغي له العمل والكسب، وطلب الحلال، حتى

(١) رواه مسلم برقم: (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) رواه أحمد برقم: (١٧٢٦٥) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وصححه الحاكم في «المستدرک» برقم: (٢١٦٠).

(٤) رواه البخاري برقم: (٢٠٧٢) من حديث المقدم رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري برقم: (١٤٧٤)، ومسلم برقم: (١٠٤٠).

(٦) رواه مسلم برقم: (١٠٤١).

(٧) رواه الترمذي برقم: (٦٨١)، وقال: حديث حسن صحيح.

يستغني عن الناس، فإذا اضطر إلى السؤال فلا بأس بقدر الحاجة،
وإذا تعفّف وصبر على القليل ولم يسأل الناس كان أفضل.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونقول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي؛ فإن ذلك كما قال
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغناء»^(١) ينبت النفاق في القلب»^(٢) وإن لم يكفر، فهو فسق
لا محالة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى في هذا: أنَّ استماع الأغاني وآلات الملاهي من
الفسق، ومن المعاصي، ومن أسباب مرض القلب والنفاق، وأما
نسبة هذا إلى النبي ﷺ فهذا وهم، والمعروف أنه من كلام ابن
مسعود رَحِمَهُ اللهُ، ولكن المؤلف كأنه غفل عن ذلك، ولهذا نسبه للنبي
ﷺ، والمعروف أنه من كلام ابن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في
القلب، كما ينبت الماء البقل». [أي: أن الغناء وسيلة للكفر،
فالمعاصي بريد الكفر، كما أن المرض بريد الموت، فقد تجره
المعاصي إلى الوقوع في الكفر، والعياذ بالله، ومنها: الغناء
والملاهي، فقد يستلذها حتى توقعه في الكفر. نسأل الله العافية.

والحاصل: أنَّ استماع الغناء حرام، فالأغاني والملاهي من
أقبح السيئات، ومن وسائل الشر. نسأل الله العافية.]

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «الغناء - بالمد - هو الغناء المعروف، والغنى -
بالقصر - ضد الفقر، يقال: استغنى غنىً أي: استغنى عن الحاجة إلى الناس،
وغنى غناءً بالمد هو: الأشعار الملحنة».

(٢) روي عن ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ مرفوعاً وموقوفاً، فأما المرفوع فرواه أبو داود برقم:
(٤٩٢٧)، وأما الموقوف فرواه البيهقي في «السنن الكبير» برقم: (٢٠٦٩٥)،
(٢٠٦٩٦). وذكر المناوي في «فيض القدير» (١٤١٣/٤) عن العراقي: أن رفعه
غير صحيح، وأن الموقوف أصح من المرفوع.

والمقصود: أن هذا الأثر إنما يُعرف عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا.

[والمؤلف الشيخ تقي الدين رحمته الله تساهل في هذه النقول بعض الشيء، ولم يعقّب عليها؛ وكأنه رآها: إما لأن الحديث وإن كان ضعيفًا له شواهد، أو لأن المقام مقام أكبر؛ وهو العناية بالعقيدة ونقل أهل العلم بالعقيدة، فالمقام مقام عظيم، فلهذا تسامح في عدم التعقيب على بعض كلمات للمؤلف وغيره].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«والذي نختاره قول أئمتنا: أن^(١) المرء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[قوله: «والكلام في الإيمان مخلوق وغير مخلوق»؛ لأن هذا ليس أمر من أهل السنة؛ لأن فيه خطرًا، فـ «الإيمان» فيه تفصيل: «الإيمان» الذي هو أفعالك وتصديقك وأعمالك مخلوق. و«الإيمان» الذي هو القرآن الكريم، وصفات الله وأسماءه التي تنطق بها وتقولها غير مخلوقة، وإن نطقت بها. وأهل البدع يريدون بهذا أن يتوصلوا بهذا إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، وصفات الله مخلوقة، فهذا من كيدهم وخبتهم].



(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «صوابه: إسقاط (أن) لأنه ما جاء خبرها، أو إثباتها مع زيادة نون أول الكلمة التالية هكذا: (وأن نترك)؛ حتى يستقيم معنى الكلام، والذي نراه وهو الظاهر أن إسقاطها أحسن».

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَاسْطَةُ يُؤْدِي، وَأَنَّ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُ فَهُوَ كَافِرٌ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا لا شك أنه تنقُص ظاهر؛ فالقول: بأن المرسل إليهم أفضل من الرسول وخير منه؛ هذا كلام لا يقوله عاقل، وما بلغنا عن أحد أنه يقول هذا، لكن لعله قاله بعض الصوفية. والمراد بقوله: «واسطة يؤدي» أي: أن مهمته أن يؤدي فقط، ولا فضل له عليهم.



قال المؤلف رحمه الله:

«ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر». اهـ^(١).

قال المعلق رحمه الله:

وهذا واضح؛ فالقول: بأن الإنسان يأخذ دينه عن رأيه وعن قلبه؛ هذا ردة عن الإسلام، فلا دين إلا ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، وأما قول بعض الصوفية: «حدثني قلبي عن ربي»؛ فهذا من خرافاتهم. نسأل الله العافية.

[والوسائط فيها تفصيل:

من أسقط «الوسائط» وقال: ليس هناك رسل، ولا شرائع، ولا دين، فهذا كفر أكبر، وإنكار لدين الله؛ فإن الرسل وسائط بين الله وبين العباد في إبلاغهم دعوة الله، وفي إبلاغهم أحكامه، فمن أنكر هذه الوساطة فهو كافر، فعلينا أن نؤمن برسول الله، وأن الله أرسلهم إلينا، وجعلهم وسائط لإبلاغنا أمره ونهييه، ولإبلاغنا شرائعه، ومن كذبهم وأنكرهم فهو من أكفر الناس.

وهناك من اتخذوا الوسائط بينهم وبين الله، وهذا كفر أيضاً، فإنكار الوسائط كفر، وإثباتهم كفر، فإنكار الوسائط بمعنى: الرسل وإبلاغهم هذا كفر أكبر، وإثبات الوساطة بمعنى: أنهم يعبدون مع الله، ويستغاث بهم، فهذا كفر أيضاً، وهذا دين المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الرؤم: ٣]. فيجب أن نثبت «الوسائط» في البلاغ والبيان، وننكرها من جهة العبادة، وأنه لا يعبد مع الله أحد سبحانه، لا نبي ولا غيره، ولا ملك ولا صالح، ولا جن ولا غير ذلك، بل العبادة حق الله وحده].

(١) إلى هنا انتهى كلام أبي عبد الله ابن خفيف.

[كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني^(١)، قال في كتاب «الغنية»: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار؛ فهو أن يعرف ويتيقَّن أنَّ الله واحد أحد». إلى أن قال: «وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ :

وهذا علم وفقه عظيم، فقد فرَّق بين هذا وهذا؛ فهو مستوٍ على العرش، وهو محيط بكل شيء، ومحتوٍ على كل شيء، أي: أنَّه مالك لكل شيء، والاستواء غير الاستيلاء، وغير الملك، فبيَّن مذهب أهل السُّنة والجماعة في هذا؛ وأنَّ الاستواء غير الاستيلاء، وغير الملك، وغير إحاطة العلم، هذا هو الحق: «استوى على العرش» أي: علا وارتفع فوق العرش ﷻ على ما يليق بجلاله، لا يشابه الخلق في استوائهم، وهو غير الاستيلاء، وغير الملك، وغير الإحاطة بالعلم، وعلمه محيط بكل شيء.

(١) هو عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحنبلي، من كبار الصوفية، ونسبت إليه الطريقة القادرية المشهورة، وقد ذاع صيته واشتهر، وأثنى عليه الكثير من العلماء، (٤٧١هـ - ٥٦١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤٣٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» [فَاطِر: ١٠]،
«يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» [السَّجْدَة: ٥]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل
مكان؛ بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: «الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ أَسْتَوَى» [طه: ٥]. وذكر آيات وأحاديث. إلى أن قال:
«وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات
على العرش». قال: «وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزله
على كل نبي أرسله بلا كيف». وذكر كلامًا طويلاً لا يحتمله هذا
الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وكلام عبد القادر هنا كلام جيد طيب، وهو الشيخ عبد القادر
الجيلاني المعروف، الذي يغلو فيه كثير من الصوفية وغيرهم، وهو
فقيه صالح، وعقيدته سليمة، ولو فيه بعض الكلمات التي قد تنتقد،
وهو من أعيان المائة السادسة].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ولو ذكرت ما قاله العلماء في ذلك لطال الكتاب جدًا.

[كلام الإمام أبي عمر بن عبد البر]

قال أبو عمر بن عبد البر^(١): رُوينا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عُيَيْنَةَ، والأوزاعي، ومَعْمَر بن راشد^(٢) في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: «أمرؤها كما جاءت». قال أبو عمر: «ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم؛ فهو علمٌ يُدان به، وما أُحْدِث بعدهم ولم يكن له أصل فيما عنهم؛ فهو بدعة وضلالة»^(٣).

وقال في «شرح الموطأ» لما تكلم على شرح حديث النزول قال: «هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طُرُق - سوى هذه - من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو من حُجَّتْهم على المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى في كل مكان بذاته

(١) تعليق سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ و قدس روحه، وهو من أئمة الأندلس، ومن الأئمة الكبار، ومن خير الأئمة في علمه وفضله وعقيدته، وعلمه بالحديث وأقوال الناس، وصنّف وألّف كتباً عظيمة، وعُمِّر رَحِمَهُ اللهُ وكانت مدة حياته ستاً وتسعين سنة، فقد ولد سنة (٣٦٧هـ)، ومات سنة (٤٦٣هـ)، وهي السنة التي مات فيها الخطيب البغدادي إمام المشرق في الحديث».

(٢) هو معمر بن راشد بن أبي عروة الأزدي البصري، أثنى عليه العلماء كابن جريح وابن سعد، توفي سنة (١٥٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥).

(٣) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١١٨/٢).

المقدّسة».

قال: «والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله». وذكر بعض الآيات، إلى أن قال: «وهذا أشهر وأعرف عند العامّة والخاصّة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: ما قال لهم هذا؛ بل عرفوه بالفطرة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال أبو عمر بن عبد البر أيضًا: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك مَنْ يحتج بقوله».".

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[أي: أن أهل البدع ليسوا بشيء، ولا قيمة لهم، فالصحابة أجمعوا وتبعهم أئمة الإسلام من الأئمة الأربعة والتابعين وغيرهم من أهل العلم والإيمان على الإيمان: بأن الله فوق العرش، فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان رَحِمَهُ اللهُ].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال أبو عمر أيضًا: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كُلُّها في القرآن والسُّنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يَكَيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج؛ فكلُّهم ينكرونها، ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن مَنْ أقرَّ بها مُشَبَّهٌ، وهم عند مَنْ أقرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهم أئمة الجماعة». هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب^(١)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وكلامه رَحِمَهُ اللهُ تعالى كله كلام عظيم، وكلام رزين قويٌّ موافق للحق، [ما أحسنه، وما أجزله. وأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والجهمية كلهم ضد هذه الصفات، وضد كتاب الله، نسأل الله العافية].



(١) ينظر: «التمهيد» (٧/١٢٨-١٢٩، ١٣٤، ١٣٨-١٣٩، ١٤٥).

[كلام الحافظ أبي بكر البيهقي]

قال المؤلف رحمته الله:

«وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي^(١)، مع تولّيه للمتكلّمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري^(٢) وذبّه عنهم».

قال المعلق رحمته الله:

والبيهقي رحمته الله بسبب ميله إلى الأشعريين؛ حصل له من الأغلاط ما حصل. وابن عبد البر أعلم منه بمذهب أهل السنة، وأسلم منه، وأكبر شأنًا، والبيهقي رحمته الله له علم وحفظ، وله دراية عظيمة؛ ولكن وقعت له أغلاط في التأويل؛ بسبب تولّيه الأشعريين من أصحاب أبي الحسن الأشعري.



(١) قال سماحة الشيخ رحمته الله: «كلاهما في القرن الخامس، وأخذوا بعضًا من القرن الرابع».

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، المشهور بأبي الحسن الأشعري، له عدة تصانيف تنبئ عن سعة علمه، (٢٦٠هـ - ٣٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٩٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قال في كتاب «الأسماء والصفات»: «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة؛ لورود خبر الصادق به، قال الله تعالى: ﴿يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «الجارحة» هذه الزيادة مما دخلت عليه أيضًا، فلم يأت في النصوص لا نفيها ولا إثباتها، فيتم إثبات اليدين من غير نفي ولا إثبات للجارحة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وذكر الأحاديث الصَّحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة: «يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده»^(١)، ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك الألواح بيده»، وفي لفظ: «وكتب لك التوراة بيده»^(٢)، ومثل ما في صحيح مسلم: «وأنه سبحانه غرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده»^(٣)، ومثل قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر؛ نزلاً لأهل الجنة»^(٤).

وذكر أحاديث مثل قوله: «بيدي الأمر»^(٥) «والخير في يديك»^(٦)، «والذي نفس محمد بيده»^(٧) «إن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل»^(٨)، وقوله: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن،

(١) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٧٥١٦)، ومسلم برقم: (١٩٣).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم: (٢٦٥٢).

(٣) رواه مسلم برقم: (١٨٩) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٦٥٢٠)، ومسلم برقم: (٢٧٩٢).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٤٨٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٤٦).

(٦) رواه مسلم برقم: (٧٧١) من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٧) ورد الحلف بهذا الصيغة في الصحيحين عن عدد من الصحابة، منهم أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٢٦١٥)، ومسلم برقم: (٢٤٦٩).

(٨) رواه مسلم برقم: (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكلتا يديه يمين»^(١)، وقوله: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(٢)، وقوله: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؛ فإنه لم يغيض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»^(٣). وكل هذه الأحاديث في الصَّحاح. وذكر أيضًا قوله: «إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة»^(٤)، وحديث: «إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره بيد»^(٥). إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: «أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب»، وكذلك قال في الاستواء على العرش، وسائر الصفات الخبرية^(٦)، مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين».

-
- (١) رواه مسلم برقم: (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٧٤١٢)، ومسلم برقم: (٢٧٨٨) واللفظ له.
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري برقم: (٧٤١١)، ومسلم برقم: (٩٩٣).
(٤) رواه الترمذي برقم: (٣٣٦٨)، وقال: «حديث حسن». وصححه الحاكم في «المستدرک» برقم: (٢١٤).
(٥) رواه أبو داود برقم: (٤٧٠٣)، والترمذي برقم: (٣٠٧٥) وقال: «حديث حسن»، وأحمد برقم: (٣١١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٦) ينظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/٤٣-٦٢، ١٥٠).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «لم يفسروا» أي: لم يتأولوها، بل أمرؤها كما جاءت من غير تأويل، مع الإيمان بها، وأنها حق، وأنها صفات لله جل وعلا بلا كيف، كما قالوا في «الاستواء»، وقالوا في غير ذلك، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً للمتكلمين المتأولين.

والبيهقي رَحِمَهُ اللهُ وقع له أشياء من «التأويل» تبع فيها الأشاعرة، وغلط فيها، والذي عليه أهل السنة والجماعة هو ترك «التأويل»، والإيمان بجميع الصفات والأسماء الثابتة في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة؛ إيماناً ليس معه تأويل، بل يمرونها كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بمعناها، وأنها حق، وأنها صفات لله لا تئق به ﷻ؛ يد حقيقة، وقدم حقيقة، وسمع حقيقة... إلى غير ذلك، لكن لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﷻ.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: في أي كتاب وقع للبيهقي بعض الأخطاء في الصفات؟

● الجواب: في «كتاب الاعتقاد» وفي غيره.



[كلام القاضي أبي يعلى]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«وقال القاضي أبو يعلى^(١) في كتاب «إبطال التأويل»: «لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها؛ لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة»؛ وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحماذ بن زيد، وحماذ بن سلمة، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ووکیع، وعبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن سالم^(٢)، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم في هذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول. إلى أن قال: «ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه؛ لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة»^(٣).

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي، المشهور بالقاضي أبي يعلى، من أئمة الحنابلة، وله مصنفات عديدة، (٣٨٠هـ - ٤٥٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٢٥).

(٢) هو أبو محمد أسود بن سالم العابد، كان ذا عبادة وصلاح، مجانباً لأهل البدع ومبغضاً لهم، توفي سنة (٢١٣هـ)، وقيل: (٢١٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٧).

(٣) ينظر: «إبطال التأويلات» لأبي يعلى (١ / ٤٣-٥٨، ٧١).

[كلام أبي الحسن الأشعري]

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم^(١) - صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام - في كتابه الذي صنفه في «اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين»، وذكر فرق الروافض، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، وغيرهم.. ثم قال: «مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون شيئاً من ذلك، وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وأن أسماء الله تعالى لا يقال: إنها غير الله، كما قالت المعتزلة والخوارج. وأقروا أن الله علماً كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وأثبتوا له السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

(١) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، المشهور بأبي الحسن الأشعري، والذي ينسب إليه المذهب الأشعري، وله عدة تصانيف تنبئ عن سعة علمه، (٢٦٠هـ - ٣٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٩٢).

الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿١٥﴾ [فُضِّلَتْ: ١٥]، وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال: «ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف: مَنْ قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: من أجل الإيهام، و«التوقف» من كلام أهل البدع، والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وقول السلف: لا يقال: «لفظي بالقرآن مخلوق»، ولا «لفظي بالقرآن غير مخلوق»؛ لأن فيه إجمالاً؛ فإن أراد باللفظ «الصوت» فهو مخلوق، وإن أراد باللفظ «الملفوظ به» - وهو القرآن - فهو غير مخلوق، بل هو كلام الله ﷻ، فلهذا أنكروا هذا وهذا؛ لئلا يتخذ وسيلة رأي الجهمية والمعتزلة.

؟ | الأسئلة:

[■ سؤال: مَنْ يقول: «قراءتي ونطقي بالقراءة مخلوقة»؟]

● **الجواب:** ينبغي أن يصرَّح بأنها الأصوات، أمَّا القرآن فغير مخلوق؛ لأن «لفظي» يوهم، فقد يراد: «ملفوظي»؛ لكن يصرَّح بأن صوته مخلوق، أمَّا القرآن فهو كلام الله غير مخلوق].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء.. إلى أن قال: «ويقرون بأن «الإيمان» قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار». إلى أن قال: «وينكرون الجدل والمرء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة، كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدلٌ عن عدلٍ حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، لا يقولون: «كيف» ولا «لِمَ»؛ لأن ذلك بدعة عندهم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: أنهم يُمرُّون الصفات كما جاءت في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ من غير أن يقال: «كيف؟»؛ بل يقال: صفاته حقٌّ على الوجه الذي يليق به سبحانه، كما قال ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصفات كما جاءت من غير تكييف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، كما قال مالك رَحِمَهُ اللهُ لما سئل عن الاستواء؟ «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب». وهذا جاء معناه عن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهو قول أهل السنة قاطبة؛ أن الأحاديث تقبل كما جاءت، مع الإيمان بمعناها، وأنها حق ثابت لله على الوجه الذي يليق به ﷻ من غير أن يقال: كيفيته كذا.

وكذلك لا يقال: لِمَ حَرَّمَ كذا؟ وَلِمَ نَهَى عن كذا؟ لا يسأل عن هذا ﷺ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أما إذا سأل عن الحِكم وما وراء ذلك من الأسرار؛ فهذا لا بأس به، فالحِكم مزيد علم، إن ظهر له شيء قال به، وإلا تركه.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إلى أن قال: «ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. إلى أن قال: «ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة، والتواضع، وحسن الخلق، مع بذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة، والنميمة، والشكاية، وتفقد المآكل والمشارب»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: تفقد المآكل والمشارب عن الحرام، يعني: يتحرزون من الحرام، ويجتهدون في طلب الحلال. وهكذا أهل السنة والجماعة يتركون الجدل والمرء إلا بحق، كما قال ﷺ: ﴿وَحَدِّلْهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قال: «فهذه جملة ما يأمر به، ويستسلمون إليه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان»^(١)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وقد أحسن في ذلك رَحِمَهُ اللهُ.



(١) ينظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٢٩٠-٢٩٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال الأشعري أيضًا في «اختلاف أهل القبلة في العرش» فقال: «قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ولا نتقدم بين يدي الله في القول؛ بل نقول: «استوى بلا كيف»، وإن له وجهًا كما قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وأن له يدين كما قال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عينين كما قال: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[قوله: «وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ»؛ لأنه جاء في كتابه العظيم إثبات «العين»، كما في قوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤]، وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨]، وجاء في السنة ما يُبَيِّن ذلك فقال: «إِنَّ الدَّجَالَ أَعور، وَإِنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعور»^(١)، كما جاء في «الصحيحين»، فهذا فيه إثبات للعينين، وأنها عينان سليمتان، وليس كالدجال].



(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري برقم: (٣٤٣٩)، ومسلم برقم: (١٦٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث^(١)، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ. وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى: استولى»، وذكر مقالات أخرى^(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وما تقدّم من الكلام الذي نقله عن أهل السنة وأهل الحديث: «أنه ليس بجسم» محل نظر، فقد أنكره أبو العباس في «كتابه التدمرية» وفي مواضع أخرى، ويبيّن أن أهل السنة والجماعة لا ينفون «الجسم» ولا يثبتونه؛ لعدم وروده، فلا يقال: «هو جسم»، ولا «ليس بجسم»؛ لأن هذه الكلمة محتملة، وفيها إجمال، وإنما يقولون ما جاءت به النصوص: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٣]، ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وهكذا مما جاءت به النصوص. أما «هو جسم» أو «ليس بجسم» فهذا لم ترد به النصوص، فلا يجوز نفيه ولا إثباته.

ومرادهم أي: كالأجسام، كما أن له ذاتاً؛ لكن ليست مثل الذوات، فله ذات حقيقة، وسمع حقيقة، وبصر حقيقة، ولكن ليس مثل ذوات المخلوقين، وأما نفي «الجسم» وإثبات «الجسم» فلم ترد

(١) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

(٢) ينظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٢١١).

به النصوص، وَمَنْ أثبتته وقال: هو جسم لا كالأجسام، له سمع وبصر ونحو ذلك، وَمَنْ نفاه وأنه ليس له ذات؛ فهذا كفر وضلال إذا أراد به هذا المعنى.

ولهذا فالصواب: أنه لا ينفى ولا يثبت، فلا يقال: «ليس بجسم»، ولا «هو جسم»؛ لعدم وروده في الأدلة؛ لأن الأدلة لم ترد بهذا اللفظ، ولم ينطق به الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فينطق بما جاء في النصوص ويكتفى بذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضَرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [التحل: ٧٤]، وقد جاء في الحديث الصحيح: «وذلك في ذات الإله»^(١) في حديث شعر حُبَيْب^(٢) رضي الله عنه. وجاء في حديث كذبات إبراهيم: «كلهن في ذات الله»^(٣). فله ﷻ ذات لا تشبه الذوات، ذات موصوفة بالسمع والبصر والوجه واليد وغير ذلك، على الوجه اللائق بالله ﷻ.



-
- (١) رواه البخاري برقم: (٧٤٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 (٢) هو حُبَيْب بن عَدِيّ الأنصاري، شهد بدرًا، وهو أحد المأسورين في وقعة الرّجيع، وأول من صلب في ذات الله في الإسلام، وأول من سنّ الصلاة عن الصلب. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٣).
 (٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم: (٣٣٥٧) (٣٣٥٨)، ومسلم برقم: (٢٣٧١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال أيضًا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه: «الإبانة في أصول الديانة»، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنَّفه، وعليه يعتمدون في الذَّبِّ عنه عند مَنْ يطعن عليه، فقال: «فصل في إبانة قول أهل الحق والسُّنة: فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا، وسنة نبيِّنا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزیغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظّم، وكبير مُفهِمّ.

وجملة قولنا: أَنَّا نَقَرُّ بِاللّٰهِ وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نردُّ من ذلك شيئًا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدِّين كله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وأن له يدين

بلا كيف كما قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلَّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِئُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وذكر نحوًا مما ذكر في «الفرق».. إلى أن قال: «ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله يُقَلِّبُ القلوب بين إصبعين من أصابع الله ﷻ^(١)، وأنه ﷻ يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: في يوم القيامة، وبقية الحديث: «والماء والثرى على إصبع، والشجر والجبال على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزُّهن، فيقول: أنا الملك، أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢).



(١) كما جاء في الحديث، وقد سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم: (٢٦٤٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إلى أن قال: «وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن «الإيمان»: قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهو قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزداد بالطاعات والذكر، وينقص بالمعصية والغفلة.

وهو يرد بهذا على المعتزلة والجهمية والخوارج الذين يقولون: «إنه لا يزيد ولا ينقص»، ويقول بعضهم - كالجهمية - : «إنه مجرد المعرفة». وأهل السنة والجماعة وسط بين هذه الطوائف الضالة؛ فهم يقولون: إن «الإيمان»: قول وعمل، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأما قول الخوارج: إنه لا يزيد ولا ينقص، وأنَّ مَنْ عصى كفر، فهم ضالون في هذا القول، وهكذا المعتزلة، نسأل الله العافية.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ونُسَلِّمُ بالروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ». إلى أن قال: «ونصدِّق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب ﷻ يقول: «هل مَنْ سائل؟ هل مَنْ مستغفر؟»^(١)، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربِّنا، وسنة نبينا، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [٨] فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿[النجم: ٨-٩]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه الآية الأخيرة - آية النجم - ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]، الصواب فيها: أنه جبرائيل عليه الصلاة والسلام.



(١) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إلى أن قال: «وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي مما لم نذكره بابًا بابًا». ثم تكلم على أن الله يُرى، واستدل على ذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أي: يُرى في الآخرة يوم القيامة، وفي الجنة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق، واستدل على من وقف في القرآن، وقال: لا أقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، وردَّ عليه. ثم قال: «باب ذكر الاستواء على العرش، فقال: «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [٣٦] أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]: كذب موسى في قوله: إن الله فوق السموات».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذا يبين أن الرُّسل جاؤوا بالبلاغ عن الله أنه في العلو، بخلاف ما يعتقدُه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهم من الأشاعرة والإباضية والرافضة وغيرهم، فكلهم قد خالفوا شرع الله في هذا، والله جل وعلا أوضح لعباده على السنة الرسل، وفي الكتب المنزلة عليهم، وأعظمها وخاتمها وأشرفها القرآن: أنه ﷻ في العلو، وأنه فوق الخلق، فوق جميع الخلق، فمن قال خلاف ذلك وقال: إنه في الأرض؛ فقد كذب الرسل، وكذب القرآن، وهو كافر بذلك؛ لتكذيبه الله ورسوله، وإنكاره ما أثبتَه الله لنفسه].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [المُلْك: ١٦]، فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦]؛ لأنه مستَوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦] يعني: جميع السماء، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله ﷻ ذكر السموات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، فلم يرد أن القمر يملؤها، وأنه فيهن جميعاً».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذا من المؤلف إيضاح بأن «السماء» المراد بها: العلو؛ لئلا يظن ظان أنه في داخلها، وأنه في جوفها].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أَنَّ الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يبيِّن لنا أن قوله: «في السماء» أي: على السماء؛ لأن «في» تفيد معنى العلو - كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ - وأنَّ المراد بالسماء: جنس العلو، ولهذا قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، والعرش فوق السموات، وقوله: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: مَنْ في العلو، ومن العلو العرش، فهو في العلو.

والمعنى الثاني: أنَّ «في» بمعنى «على»، إذا أريد بـ«السماء»: السماء المبنية القائمة، فالمعنى: مَنْ على السماء، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي: على الأرض، وقال: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل.

فالآية فُسِّرَتْ بهذا وهذا، فإذا فُسِّرَتْ «في» بمعنى «على» فالمراد: أنه فوق السموات فوق العرش جل وعلا، وإذا فُسِّرَتْ «السماء» بمعنى: «العلو» فهي على أصلها ظرفية، «في السماء» أي: في العلو، وأن الله جل وعلا فوق العرش، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي جاءت به الرسل، وهو قول أصحاب النبي ﷺ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ أن الله ﷻ في السماء في العلو فوق العرش وفوق جميع الخلق.

وهكذا أخبر الله عن موسى أنه بلغ فرعون أن الله في السماء، ولهذا قال فرعون: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَبَ﴾ (٣٦) **أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا** [غافر: ٣٦-٣٧]، وهذا يدل على أن موسى بيّن له أنه في العلو، وأنه فوق العرش، فلهذا قال الخبيث ما قال، فالرُّسل جاءوا ببيان أن الله في السماء وفي العلو، وهو يدعى من أعلى، وترفع الأيدي إليه **سُبْحَانَ**؛ طلباً لمغفرته وعفوه، وللحاجات التي يطلبها الإنسان.

وهكذا قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، كل هذا يدل على العلو.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم قال: «فصل: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: أنه استولى وقهر وملك، وأنَّ الله ﷻ في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى: الاستيلاء - وهو ﷻ مستول على الأشياء كلها - لكان مستوياً على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية؛ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها»، وذكر دلالات من القرآن، والحديث، والإجماع، والعقل».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو قول أهل الحق، [فأهل السنة والجماعة يقولون: معناه: العلو والارتفاع، «استوى»: أي: علا وارتفع، كما يقول القائل من العرب: استويت على السطح، استويت على السفينة، استويت على الدابة، استويت على ظهر الفرس، أي: علا وارتفع، فهي لغة معروفة عند العرب. ثم مَنْ يُغالبه حتى يقال: «استولى على العرش»؟! فهو غالب كل شيء، وقاهر كل شيء، فهذا الوصف

يختص بـ«العرش»، ومعناه: العلو والارتفاع]، وأما قول مَنْ قال:
استولى على العرش أو قهر عليه أو غلب عليه؛ فقول باطل؛ لأنَّه
مستول على كل شيء، وهو بيده كل شيء ﷻ، وإنما هذه صفة
خاصة للعرش؛ وهو العلو فوقه والاستواء عليه من الله ﷻ.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم قال: «باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين، وذكر الآيات على ذلك، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته، مثل: قوله: فإن سئنا: أتقولون: لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الْفَتْح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله مسح ظهر آدم بيده، واستخرج منه ذريته...»^(١)، وقد جاء في الخبر المذكور عن النبي ﷺ: «أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده»^(٢)، وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب: أن يقول القائل: «عملت كذا بيدي» ويريد بها «النعمة»، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوماً في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: «فعلت بيدي» ويعني بها: النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿يَدَيَّ﴾: النعمة، وذكر كلاماً طويلاً في تقرير هذا ونحوه^(٣)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهو في هذا يردُّ على أهل التأويل من أهل الكلام الذين يؤولون «اليد» بالقدرة أو بالنعمة، وأنَّ هذا باطل غير معروف عند العرب، فإذا قالت العرب: «فعلت بيديَّ هذا»؛ فإنها تريد أنها

(١) سبق تخريجه في (ص ٢٤٨).

(٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» برقم: (٥٧٣) من حديث وهب بن مُنبه.

(٣) ينظر: «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٢٠-١٢٦).

باشرت الأشياء، والله خاطب العرب بما يعقلون ويفهمون؛ فلهذا قال سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]... إلى غير ذلك من النصوص الدالة على إثبات اليدين له سبحانه على الوجه اللائق به من غير مشابهة لخلقه ﷻ، وهكذا بقية الصفات: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِذَا نَادَى اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ»^(١)... إلى غير هذا، كل هذا على الطريقة المعروفة؛ وهي إمرارها كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها أوصاف لله تليق به ﷻ، لا يشابه فيها خلقه جل وعلا.



(١) سبق تخريجه في (ص ١٩).

[كلام القاضي أبي بكر الباقلاني]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني^(١) المتكلم - وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده - قال في كتاب «الإبانة» تصنيفه^(٢) : «فإن قال : فما الدليل على أن لله وجهًا ويدًا؟ قيل له : قوله : ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ : ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص : ٧٥] ، فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا.

فإن قال : فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلا جارحة؟ قلنا : لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حيًا عالمًا قادرًا إلا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله ﷻ، وكما لا يجب في كل شيء كان قائمًا بذاته؛ أن يكون جوهرًا؛ لأننا وإياكم لم نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم إن قالوا : فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضًا، واعتلوا بالوجود».

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البغدادي، المشهور بالباقلاني، كان إمامًا كبير القدر، غاية في الذكاء والفطنة، حاضر الحجة، سريع البديهة، توفي سنة (٤٠٣هـ). ينظر : سير أعلام النبلاء (١٣ / ١١).

(٢) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : «الإبانة» المعروفة الآن للأشعري، وأبو بكر الباقلاني مات سنة : (٤٠٣هـ) في أول القرن الخامس».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى في هذا: أن صفاته جل وعلا كلها يباين فيه المخلوقين، فلا يلزم من إثباتها أن يكون مشابهاً للمخلوقين، فكما لا يلزم في ذاته، ولا في سمعه، ولا في بصره، فكذلك لا يلزم في يده، ولا في إصبعه، ولا في قدمه، ولا في سائر صفاته، فكلها بابها واحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص: ١-٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥) [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦) [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. الباب واحد؛ يجب أن تُمرَّ كلها كما جاءت، مع الإيمان القاطع الجازم بأنها تليق به ﷻ، وأنه لا يشابه فيها خلقه، هكذا قال أهل السنة والجماعة في جميع أسمائه وصفاته ﷻ.



قال المؤلف رحمته الله:

«وقال: «فإن قال: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل له: معاذ الله؛ بل مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَامِنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفُّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [المُلْك: ١٦].

قال: ولو كان في كل مكان؛ لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله^(١).

وقال أيضاً في هذا الكتاب: «صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها هي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا». وقال في كتاب «التمهيد» كلاماً أكثر من هذا، وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه، وإن كنّا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام».

قال المعلق رحمته الله:

وهذا هو الحقيقة؛ فإنما يذكر كلامهم للرد على الخصوم، وإلا فالمسلمون وأهل السنة مستغنون بكلام الله، وكلام رسوله صلّى الله عليه وآله، وكلام أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله عن كل كلام، ولكن يذكر كلام أهل العلم

(١) قال الشيخ سماحة رحمته الله: «يشير بهذا إلى أنه ﷺ يدعى من أعلى».

من باب الاستشهاد، والرد على الخصوم، وأنَّ هؤلاء العلماء تلقَّوا
نصوص الكتاب والسُّنة كما جاءت، وآمنوا بها، وصدَّقوا بها،
وانقادوا لها، وهم حُجَّة على مَنْ سواهم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وملاك الأمر: أن يهب الله للعبد حكمة وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسناً للظن بهم دون غيرهم، ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتي بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا واقع، فكثير من الناس تقليده أعماه، فلو أُتي بكل شيء لا يؤمن، حتى إذا جيء بشيء من كلام أئمتهم قنع بذلك وقبل، فلهذا ينقل كلام أهل العلم من المقلّدين حتى ينقادوا للحق الذي دلت عليه الآيات والأحاديث النبوية؛ لا لأن الحُجّة في كلام المنقول عنهم من العلماء المتأخرين، ولكن لأجل إقناع ودعوة غيرهم إلى الحق الذي دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق؛ ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] (١)، فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا. قال الله تعالى لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، أي: إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول ﷺ: لا لما جاءكم به أنبياءكم تتبعون، ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

[كلام أبي المعالي الجويني]

وكذلك قال أبو المعالي الجويني كتابه: «الرسالة النظامية»: «اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر؛ فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في أي الكتاب، وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على موارد، وتفويض معانيها إلى الرب. فقال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة؛ وهو حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج

(١) قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «وقد حرم عليهم ذلك فيما أنزل عليهم؛ فخالفوا ذلك».

أصحاب رسول الله ﷺ على ترك التعرّض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل؛ كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب تعالى، فيجري آية الاستواء، والمجيء، وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ [المز: ١٤]، وما صحَّ من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الذي قاله أبو المعالي هو الحق، وأنَّ أهل السُّنة والجماعة - وهم السلف الصالح - مشوا على هذا، وتركوا التأويل الذي خاضه الجهمية وأشباههم.

وقوله: «نفوُض المعنى» أي: معنى الكيفية، أما المعاني فمعلومة، وليس مراده: رأي المفوُضة الذين هم شر من الجهمية، الذين يقولون: إن الله خاطب الناس بما لا يفهمون ولا يعقلون، بل مراده: أن نفوُض المعنى من جهة الكيف، كما قال مالك وغيره - مثل ابن المبارك، وسفيان وغيرهم - : «أمروها بلا كيف» أي: آمنوا بها، وأمروها من دون أن تكيّفوا الصفات، فالمعنى معروف، فالاستواء معروف معناه، وكذلك العلم، والضحك، واليد، والقَدَم،

والسمع، كلها صفات معروف معناها، لكن ليس مثل صفات المخلوقين.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: أبو المعالي هل وقع في التأويل؟

● الجواب: في بعض كتبه الأخرى، لكن كلامه هنا في «الرسالة النظامية» طيب، وإذا أخطأ هو أو غيره في بعض المسائل فيؤخذ الصواب، ويترك الخطأ.



[عدم موافقة المتكلمين ممن نقل عنهم
في هذه الفتوى لكل ما يقوله أهل السنة]

قال المؤلف رحمه الله:

«قلت^(١): وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر
الفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس
كلُّ مَنْ ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما
نقله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يُقبل من كل مَنْ تكلم به».

قال المعلق رحمه الله:

والمعنى في هذا: ألا تظنَّ أنَّ مَنْ ذكرنا ونقلنا عنهم موافقون
لنا في كل شيء، لكننا ننقل عنهم ما أصابوا فيه الحق، وما وافقوا
فيه الحق، وإذا وجد لفلان أو فلان أغلاط؛ فترد عليه كما ترد على
غيره، فينبغي لمن نقل عن الشخص كلاماً حقاً أن يعرف أنه إذا قال
قولاً آخر باطلاً فالباطل يُردّ، فيقبل الحق ممن جاء به، ويرد الباطل
على مَنْ جاء به سواء كان كبيراً أو متوسطاً أو صغيراً، فما قاله من
الحق قُبِلَ على العين والرأس؛ لأنه حق، وما قاله من الباطل رُدّ؛
لأنه باطل، وإن كان مَنْ قاله عظيمًا، فالحق فوق ذلك وأعظم. هذا
هو المقصود.



(١) تعليق سماحة الشيخ رحمه الله: «قلت»: هذا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: «اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً - أو قال: فاجراً - واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إِنَّ عَلَى الْحَقِّ نَوْرًا»^(١) أو قال كلاماً هذا معناه.

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإمطة ما يعرض من الشُّبْه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المَهَامِ؛ فما تَتَّسَع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض مَنْ يجالسنا، وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود.

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسُّنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبَّر كتاب الله، وسنة نبيِّه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكَلِم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

[نفي التعارض بين نصوص المعية ونصوص العلو]

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسُّنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله ﷻ: «إِذْ قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ»^(٢)، ونحو

(١) رواه أبو داود برقم: (٤٦١١).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري برقم: (٧٥٣)، ومسلم برقم: (٥٤٧).

ذلك، فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»^(١)، وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيّدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى؛ فإنه يقال: «ما زلنا نسير والقمر معنا»، أو «والنجم معنا»، ويقال: «هذا المتاع معي»، لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

قال المعلق رحمه الله:

أي: أن كل شيء بحسبه؛ ف «القمر معنا» أي: نور القمر، وهكذا: «والله معكم» أي: بعلمه وإطلاعه علينا ورؤيته لنا، وأنه لا تخفى عليه منّا خافية ﷻ، وهو فوق العرش. [وهذه معية حقيقة بالنظر إلى ما يترتب عليها من علمه وإحاطته لكل ما لديهم وما في قلوبهم، فهو أعلم بهم من أحوالهم، ومن جلسائهم، ومن أنفسهم، وهو فوق العرش ﷻ، ولهذا فسّرهما بـ«العلم» قبلها وبعدها، فهي معية حقيقية لا تنافي علوه وفوقيته؛ لأنها اقتضت علمه بأحوالهم،

(١) سبق تخريجه.

وأطلعاه على كل شيء، وأنه لا يفوته شيء من شؤونهم ﷺ. وهكذا يقال: فلانة مع فلان - يعني: زوجة له في عصمته - وإن كانت في بلاد وهو في بلاد، أو كانت في الشرق، وهو في الغرب، ففلانة مع فلان يعني: زوجة له، وإن كانت بعيدة عنه وليست عنده. وهكذا يقال: فلان مع فلان، مثلاً: فلان مع معاوية، وإن كان في أقصى الدنيا، وفلان مع علي، وإن كان في أقصى الدنيا، أي: معه في النصرة والحماية والتأييد، وهكذا ما أشبه ذلك، كأن يقال: فلان مع الخوارج، وإن كان بعيداً عنهم، وفلان مع الرافضة، وإن كان بعيداً عنهم، أي: في عقيدته، وفي حمايته لهم، وفي نصره لهم... إلى غير هذا.

؟ | الأسئلة:

■ سؤال: من قال: إن الله ﷻ معنا معية ذات تليق بجلاله؟

● الجواب: هذا غلط؛ بل كما قال السلف: معية علم، وذاته ﷻ فوق العرش.

■ سؤال: هل قال ذلك أحد من السلف؟

● الجواب: ما أعرف أحداً قال بذلك، ومن قالها فأنكروا عليه؛ لأن نتيجتها الاختلاط والامتزاج، تعالى الله عن ذلك، فهي معية علم وأطلاع على عباده، لا معية ذات، فذاته ﷻ فوق العرش.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم هذه «المعية» تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، مهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: «أنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان هذا أيضًا حقًا على ظاهره، ودلّت الحال على أن حكم هذه المعية هنا: معية الاطلاع والنصر والتأييد، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد. وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي؛ فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر، ونحو ذلك. ينبّهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها؛ فيختلف باختلاف المواضع؛ فلفظ «المعية» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردّها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ﷻ مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها. ونظيرها - من بعض الوجوه - الربوبية

والعبودية؛ فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والعبودية، لها معان بحسب المواضع، فلما قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]، كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق؛ فإن مَنْ أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربّه وربّاه ربوبية وتربية أكمل من غيره، وكذلك قوله: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، و: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، فإن «العبد» تارة يعني به: «المعبّد»؛ فيعم الخلق، كما في قوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وتارة يعني به: «العابد»؛ فيخص، ثم يختلفون؛ فمَنْ كان أعبد علمًا وحالًا كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أنها ربوبية خاصة، وعبودية خاصة، وربوبية عامة، وعبودية عامة، وهذا واضح المعنى؛ فإنّ الربوبية بمعنى: التربية لخواص العباد من الرسل والأولياء وعباد الله الصالحين؛ غير الربوبية العامة لبقية البشر، وهكذا فالعبودية الخاصة للأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين؛ غير العبودية العامة؛ [فإن عبادة عباد الرحمن وعبادة الرسول ﷺ ونحو ذلك عبادة أخص من غيرها؛ لما حباهم الله من الذل والخضوع والانكسار، والطاعة والإخلاص والإخبات، فصارت عبادتهم أخص، فعباداة عباد الرحمن وعبادة الرسول ﷺ والأنبياء أخص، بخلاف عبودية جميع الخلق؛ فإنها عبودية الذل والقهر، وأنهم في قبضته ﷻ، وأنه مالکهم، فهم عبيده كلهم: ﴿إِنْ

كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٣] يعني:
 ذليلاً منقاداً مقهوراً ليس له تصرف إلا بأمر ربه ﷻ، وهذا كله
 واضح في الكتاب والسنة، وفي كلام الناس أيضاً، فهكذا «المعيّة»
 تنوعها أمر معلوم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشككة»؛ لتشكك المستمع فيها: هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط؟ والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضح اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

و«المتواطئة» هي: التي تشترك في أصل المعنى بخلاف «المشتركة»؛ فإنَّها لا تتفق في المعنى؛ بل تطلق على كلمات لها معانٍ كثيرة، فيقال لها: أسماء مشتركة، وأمَّا «المتواطئة» فهي التي تتحد في أصل المعنى، وتتفاوت في معانٍ كثيرة؛ لأنَّها ترد في كل مكان بما يناسبه.

وهكذا «المعِيَّة» مع العباد، معية الله مع عباده، معية الرجل مع زوجته، معيته مع ولي الأمر، مختلفة، وإن كان أصل المعنى نوع المقارنة، بخلاف الكلمات التي تطلق على أشياء كثيرة مشتركة لا تتحد في معنى.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن علم أن «المعية» تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلاً، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفل ولا بالتحية قط، لا حقيقة ولا مجازاً، عَلِمَ القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم مَنْ توهم أن كون الله في السماء بمعنى: أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضالٌّ إن اعتقده في ربِّه، وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله: «إن الله في السماء»: أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن الله في السماء، وهو على العرش، واحد؛ إذ «السماء» إنما يراد به: العلو، فالمعنى: أن الله في العلو لا في السفلى، وقد عَلِمَ المسلمون أنَّ كرسیه ﷻ وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأنَّ العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟! وقد قال سبحانه: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: ٧٨]، وقال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] بمعنى: «على» ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً، وهذا يعلمه مَنْ عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة».

قال المعلق رحمه الله:

[والمتواطئة: هي التي بينها اشتراك في أصل المعنى، يقال لها: متواطئة، وسُميت بعض الأسماء مُشكَّكة؛ لأن سامعها لا يدري هل هي مشتركة أو متواطئة، فالمتواطئ: ما اتفق في أصل المعنى؛ كأسماء الله وصفاته وأشباه ذلك، فإن أصل المعنى لذات الله ﷻ، ولكنها تختلف بحسب الصفات: الرحمن، والسميع، والبصير، والعليم، فلها معانٍ، والأصل واحد؛ وهو اسم لذات الله ﷻ، وهكذا جميع الأسماء المتواطئة التي لها اشتراك في أصل المعنى، يقال لها: المتواطئة، بخلاف الأسماء المشتركة التي ليس بينها تواطؤ في المعنى، بل تطلق على كذا، وعلى كذا، وعلى كذا، من غير اجتماع واشتراك في المعنى، فهذه يقال لها: الأسماء المشتركة. فالفرق بين المتواطئة والمشاركة: أن المشاركة لا يكون بينها اشتراك في أصل المعنى، كما تقول مثلاً: «القرء» يطلق على الطُّهر، ويطلق على الحيض، و«العين» يقال للعين الباصرة، ويقال للعين الذهب، ويقال للعين الماء. فليس بينهم اشتراك في المعنى، وإنما هي أسماء فقط، فتسمى العين الجارية: عينا، وتسمى عين الإنسان: عينا، ويسمى الذهب: عينا، لكن العرب تطلق هذا على هذا، وعلى هذا، وعلى هذا، فهذا هو الذي يقال له: المتواطئ، كأسماء الله ﷻ، والأسماء التي بينها اشتراك في أصل المعنى، مثل: عين الآدمي، وعين الجمل، فبينها اشتراك في المعنى، فبينهما اشتراك في المعنى، لكن السمع غير السمع. فكذلك أسماء الله وأسماء عباده: «السميع والسميع» متواطئة؛ لأن بينهما أصلاً في سماع الأصوات، وإن كانت صفات الله تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، لكن أصل المعنى موجود، فتكون متواطئة].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وكذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه، فلا يبصق قِبَل وجهه»^(١)، الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قِبَل وجهه، وقد ضرب النبي رَحِمَهُ اللهُ المثل بذلك ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل: بيان جواز هذا وإمكانه، لا تشبيه الخالق بالمخلوق».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى في هذا: أن جميع الروايات لا تنافي العلو، فقوله: «إِنَّ اللَّهَ قِبَل وجه المصلي»، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] وما أشبه ذلك؛ كله لا ينافي العلو، فهو فوق العرش فوق جميع الخلق، وهو مع عباده بعلمه وإطلاعه، وهو قِبَل وجوه المصلين؛ لأنهم يعبدونه ويقصدونه ويقبلون عليه رَحِمَهُ اللهُ، فهو قِبَل وجوههم، وإن كان فوق العرش، وفوق جميع خلقه رَحِمَهُ اللهُ، فلا تنافي بين هذه وبين عُلُوّه واستوائه على عرشه جلّ وعلا؛ لأنه لا يقاس بخلقه، ولا يُشَبَّه بخلقه جلّ وعلا.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فقال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيري ربه مخلياً به»، فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر»^(١)، أو كما قال النبي ﷺ.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا مثال واضح، والأمثلة كثيرة، فالقمر والشمس والنجوم يراها الناس؛ كلُّ يراها في مكانه، وفي بيته، وفي سطحه، وفي جبله، وفي مرعاه، وفي كل مكان، وكل واحد يراها مخلياً بها، والله فوق ذلك وأعظم من ذلك سبحانه تعالى؛ يراه المؤمنون يوم القيامة وهم على أسرَّتْهم وفي أماكنهم إذا تجلَّى لهم رَبُّهم ﷻ، وهذا بفضله وإحسانه إليهم؛ حيث يتجلَّى لهم، ويريههم وجهه الكريم، ويكلِّمهم ويسلِّم عليهم، ويقول: «هل رضيتم؟»^(٢).



(١) رواه أبو داود برقم: (٤٧٣١)، وابن ماجه برقم: (١٨٠)، وأحمد برقم: (١٦١٨٦)، بنحوه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٥٤٩)، ومسلم برقم: (٢٨٢٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»^(١)؛ فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كلُّ يراه فوقه قَبْلَ وجهه، كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلاً».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وليست خيالاً ولا كذباً، بل حقيقةً، كما أن رؤية الشمس والقمر والنجوم وأشباهاها حقيقةً، فهكذا المؤمنون يوم القيامة وفي دار الكرامة يرون ربهم رَحِمَهُ اللهُ حقيقةً، يكشف لهم الحجاب عن وجهه الكريم فيرونه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه رَحِمَهُ اللهُ، ولا يلزم من هذا تشبيهه ولا تكييفه رَحِمَهُ اللهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].



(١) رواه البخاري برقم: (٧٤٣٤)، ومسلم برقم: (٦٣٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن كان له نصيب من المعرفة بالله، والرسوخ في العلم بالله، يكون إقراره للكتاب والسُّنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أنَّ من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أنَّ ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ مجمل؛ فإن قوله: «ظاهرها غير مراد» يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين، وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون «الله قِبَل وجه المصلي»: أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأنَّ «الله معنا» ظاهره: أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أنَّ هذا غير مراد. ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى؛ لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث؛ فإنَّ هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيَّناه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار، معذورًا في هذا الإطلاق؛ فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبيِّن - لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر - أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظًا ومعنى».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا بيَّن سبحانه لما أخبرهم بسمعه وبصره، وغضبه ورضاه، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَعَلِمَ بذلك أنَّ الظاهر الذي أخبر به ﷻ؛ هو الظاهر الذي يليق به، وليس الظاهر الذي يشابه العباد، فظاهر النصوص هو الشيء الذي يوافق ما أخبر به سبحانه؛

وهو أَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١]،
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ
الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فهي صفات ظاهرة معلومة، ليس ظاهرها
الذي يظنه المخلوق الجاهل أنها من جنس صفاته؛ بل ظاهرها هو
الذي يليق بالله؛ لأنَّه هو بيَّنه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:
١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا﴾ (٦٥) [مریم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فإذا قال:
إنَّه سميع بصير، فليس الظاهر من جنس صفات المخلوقين، بل
الظاهر الذي يليق بالله ﷻ ويناسبه، كما أخبر ﷺ.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: «الظاهر غير مراد عندهم»: أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد؛ فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب؛ فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل - لا نصّاً ولا ظاهراً - أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة. وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى: أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله ﷻ، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقولون: الفرق بين الفريقين: أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون؛ لجواز أن يراد غيره. وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً، مثل: أن الله تعالى فوق العرش؛ فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم - الذي لم يُحك هنا عُشره - علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرّحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرّح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

والله يعلم أنني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف؛ ما رأيت كلام أحد منهم يدل - لا نصّاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن - على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، بل الذي رأيته

أن كثيراً من كلامهم يدل - إما نصاً وإما ظاهراً - على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحداً منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يُشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على مَنْ ينفي الصفات أيضاً، كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومَنْ جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً»^(١). وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: «هذا جهمي معطل». وهذا كثير جداً في كلامهم؛ فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمّون مَنْ أثبت شيئاً من الصفات مشبّهاً؛ كذباً منهم وافتراء، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك».

قال المعلق رحمه الله:

أي: رماهم بأنهم مشبهة، وهذا أعظم الجهل والكفر، نسأل الله العافية، ونعوذ بالله من ذلك، وإلى يومنا هذا من بقايا المعتزلة والجهمية وغيرهم من الإباضية والرافضة وغيرهم؛ يرمون مَنْ وصف الله بصفاته، وسمّاه بأسمائه؛ يسمونه مشبّهاً ومجسّماً وحشويّاً، نسأل الله العافية.



(١) ينظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي رقم: (٩٣٦)، و«العلو» للذهبي (ص ١٢٦).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«حتى قال ثمامة بن الأشرس^(١) من رؤساء الجهمية: «ثلاثة من الأنبياء مُشَبَّهة: موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فَنَنْتَكُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا»^(٢)». وحتى إن جُلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة - مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم - في قسم المشبهة. وقد صنَّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي^(٣) جزءاً سماه: «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة»، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع كلُّ صنْفٍ منهم يلقَّب أهل السُّنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها؛ فالرافضة تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة تسميهم شُكَّاكًا، والجهمية تسميهم مُشَبَّهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغشاء وغثراً... إلى أمثال ذلك».

(١) هو ثمامة بن أشرس النميري البصري، من كبار المعتزلة وغلاتهم، رويت عنه أقوال شنيعة، توفي سنة (٢١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٣٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

(٣) هو إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الكردي، كان عارفاً بمذهب الشافعي، صالحاً زاهداً، توفي سنة: (٦٢٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٢١٩).

قال المعلق رحمته الله:

وهكذا أهل البدع يسمُّون مَنْ خالفهم بالألقاب الشنيعة للتنفير؛ ولهذا يسمُّون أهل السُّنة بالألقاب التي هم بها أليق، فالروافض يسمونهم نواصب؛ لأنهم زعموا أنهم يبغضون عليًّا، وقد كذبوا؛ فليسوا يبغضون عليًّا؛ بل يحبونه؛ ولكن لا يغفلون فيه، ولا يعطونه غير حقِّه، بخلاف الرافضة؛ فقد غلوا فيه، وأعطوه غير حقِّه.

وهكذا نفاة الصفات يسمُّون أهل السُّنة حشوية ومجسمة ومشبهة، وهم في الحقيقة الحشوية، وهم المجسمة، وهم المشبهة، الذين شبَّهوه بالمعدومات، والناقصات، والجمادات، قبحهم الله. وهكذا نفاة القدر، وهكذا المرجئة، كل طائفة تسمي خصمها بالألقاب الشنيعة.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنوناً، وتارة شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفترياً.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح، والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً، فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة - وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة - فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنًا وظاهرًا. وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهرًا وباطنًا بحسب الإمكان، فلا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمُّونهم به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها، كقول الرافضي: مَنْ لم يبغض أبا بكر رضي الله عنه وعمر؛ فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبًا بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب. وكقول القدري: مَنْ اعتقد أن الله أراد الكائنات، وخلق أفعال العباد؛ فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجُمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة. وكقول الجهمي: مَنْ قال: إن الله فوق العرش؛ فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب محدود، وأنه مشابه لخلقه. وكقول الجهمية المعتزلة: مَنْ قال إن لله علمًا وقدرة؛ فقد زعم أنه جسم مركب، وأنه مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيّز، وكل متحيّز جسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مُشَبَّه؛ لأن الأجسام متماثلة.

وَمَنْ حَكَى عَنْ النَّاسِ «الْمَقَالَاتِ» وَسَمَاهُمْ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَكْذُوبَةِ بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِمُ الَّتِي هُمْ مُخَالِفُونَ لَهَا فِيهَا فَهُوَ وَرَبُّهُ^(١)، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمَرْصَادِ، وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ.

[أقسام الناس في نصوص الصفات]

وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة: قسمان يقولان: تُجْرَى عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وقسمان يقولان: هِيَ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا، وقسمان يسكتون.

أما الأولون فقسمان:

أحدهما: مَنْ يَجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَيَجْعَلُ ظَاهِرَهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَهَؤُلَاءِ الْمَشَبَّهَةُ، وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ أَنْكَرَهُ السَّلَفُ، وَإِلَيْهِمْ يَتَوَجَّهُ الرَّدُّ بِالْحَقِّ.

الثاني: مَنْ يَجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللَّهِ، كَمَا يَجْرِي ظَاهِرُ اسْمِ الْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالرَّبِّ وَالْإِلَهِ وَالْمَوْجُودِ وَالذَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللَّهِ، فَإِنَّ ظَوَاهِرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: إِمَّا جَوْهَرٌ مُحَدَّثٌ، وَإِمَّا عَرْضٌ قَائِمٌ بِهِ، فَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَلَامُ وَالْمَشِيئَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْعَبْدِ أَعْرَاضٌ، وَالْوَجْهُ وَالْيَدُ وَالْعَيْنُ فِي حَقِّهِ أَجْسَامٌ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ مَوْصُوفًا عِنْدَ عَامَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِأَنْ لَهُ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَكَلَامًا وَمَشِيئَةً - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَرْضًا يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ - جَازَ أَنْ يَكُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَيَدَاهُ صِفَاتٌ لَيْسَتْ أَجْسَامًا

(١) قَالَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: مُصِيرُهُ إِلَى رَبِّهِ، وَهُوَ الَّذِي يَجَازِيهِ».

يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذا هو الحق عند أهل السُّنة والجماعة، وأما مَنْ قال: إنها على ظواهرها كصفات المخلوقين؛ فهذا من أبطل الباطل، وهو كفر وضلال، وهو قول المشبهة، وهو مصادم لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)]. وأما أهل السُّنة فقالوا: تجرى على ظواهرها اللائق بالله، وجه ليس كوجوه المخلوقين، وعلم ليس كعلم المخلوقين، ويد ليس كيد المخلوقين، ورضا ليس كرضا المخلوقين، وغضب ليس كغضب، وهكذا، وكلها حقٌّ لا تُشابه صفات المخلوقين، سواء كانت أعراضاً أو أجساماً كلها حق، فالوجه، واليد، والرضا، والغضب، والمشية، والإرادة؛ كلها تليق بالله لا يشابه فيها صفات خلقه. أما المخلوق فكله مخلوق؛ أجزاؤه وصفاته: يده، ووجهه، وغضبه، ورضاه، ومشيته؛ كذلك مخلوق مربوط كان بعد أن لم يكن].

والمعنى: أننا نثبت صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق به، سواء كانت أعراضاً كالعلم، والقدرة، ونحو ذلك، أو ذواتاً؛ كالوجه، واليد، والقدم، والسمع، والبصر ونحو ذلك، كلها يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، فصفات المخلوقين من وجوههم وأيديهم وعلومهم يعترئها النقص والعدم والضعف، فهو يموت ويعمى ويصيبه ما يصيبه من الآفات، أما الله ﷻ فهو منزّه عن هذا كله، لا يعترئ صفاته نقص، بل له الكمال المطلق من كل الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته، فلها صفة الكمال، ولا يعترئها النقص بوجه من الوجوه؛ لأنه الكامل

سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبهة له، ولا كفاء له، ولا ندَّ له ﷻ.

؟ | الأسئلة:

[■ سؤال: هل يعتبر المشبهة من أهل القبلة؟]

● **الجواب:** يدعون وينتسبون إلى الإسلام وإلا فهم كفار، مثل: أهل وحدة الوجود ينتسبون إلى الإسلام، والرافضة ينتسبون إلى الإسلام، والنصيرية ينتسبون إلى الإسلام، والقرامطة ينتسبون إلى الإسلام، وهم من أخص أعدائه، وهكذا من يسبُّ الرسول ويسب الله وينسب للإسلام].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطّابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقيين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات، فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين، قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين؟».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[ثم هؤلاء محجوجون أيضاً بنفس الواقع، وبنفس المشاهد من مخلوقات الله، فهم يشاهدون أن هناك مخلوقات متفاوتة، وهي مع ذلك لها سمع، ولها بصر، ولها إرادة، ومع ذلك لا تشابه المخلوق الثاني، فهذه البعوضة وهذه النحلة وأشباهاها لها إرادة ولها تصرف، وهذه النملة وأشباهاها لها تصرف، ولها عمل، ولها ذهاب ومجيء، ولها إحساس، فهل تشبه الجمل؟! وهل تشبه ابن آدم؟! لا تشبهه بابن آدم، ولا بالجمل، ولا بالبقرة، ولا بالأسد، ولا بالملك، فكلُّ له صفاته، فإذا كانت المخلوقات مع كونها كلها مخلوقة متفاوتة مختلفة، وبينها تفاوت عظيم؛ فالذي بين الله وبين المخلوقين أولى وأولى وأولى، لو كان أهل الشر وأهل الفساد والتعطيل يعقلون!].



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب - الذي ليس كمثله شيء - إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه. وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يدها؟ ونحو ذلك فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك؛ بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء»^(١)، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، وأخبر النبي ﷺ أن «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٢)؛ فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك؛ فما الظن بالخالق ﷻ؟!».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[ومقصوده رَحِمَهُ اللهُ هنا: أن الجنة فيها أنواع النعيم، وليس من جنس ما في الدنيا، مع أن الأسماء متفقة: رمان، تمر، عنب، وغير ذلك، ومع ذلك فهذا غير هذا، فطعام الجنة لا يترتب عليه بول،

(١) ينظر: «تفسير ابن جرير» (١/١٧٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه البخاري برقم: (٤٧٧٩)، ومسلم برقم: (٢٨٢٤).

ولا غائط، ولا روائح كريهة، ولا غير ذلك، بل جُشَاء يذهب هكذا، وما في الدنيا من الطعام معروف ما يترتب عليه، فهذا مخلوق مع مخلوق، وهما متفاوتان تفاوتاً عظيماً، ولهذا قال ابن عباس: «لا يوجد في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء» أي: اتفاق الأسماء، وإلا فحقيقة الطعام والشراب الذي في الجنة غير ما في الدنيا، فيبينها بون عظيم، فالذي بين الله وبين خلقه أولى وأولى].

فالله أولى وأولى بأن يكون مخالفاً لما عليه المخلوقون، فله الكمال الكامل ﷻ، ولا يشابه مخلوقاته؛ فإن مخلوقاته موجودة في الجنة، ومع هذا لا تشبه مخلوقات الدنيا؛ بل هي أفضل منها وأعظم وأحسن، وعواقبها أطيب، فكيف بحال الخالق ﷻ؟!



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ مع أننا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه، وتخرج إلى السماء، وأنها تسلك منه وقت النزاع، كما نطقنا بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم؛ حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطئوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك!».

ولا نقول: إنها مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبُخار مثلا، أو صفة من صفات البدن والحياة، وأنها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام: بل يتيقن أن الروح عينٌ موجودةٌ غير البدن، وأنها ليست مماثلة له، وهي موصوفة بما نطقنا به النصوص حقيقة لا مجازاً.

فإذا كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة: فكيف الظن بصفات رب العالمين؟.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

[وهذه روح الإنسان بين جنبه ومع هذا لا يعرف كيفتها، ولا حقيقتها، وهو بها حي، وإذا خرجت منه في الموت صار جثة لا حراك بها، ومع ذلك هو جاهل بها، فجهله بالله وصفاته أولى

وأولى، وكيفيه ما جاءت به الأخبار من صفات الرب ﷻ، فعليه أن يصدّق وينقاد، ويعلم أن ربّه لا مثيل له، ولا كفاء له، ويسكت عن بقية الأشياء التي لا دليل عليها، وهكذا عقله فهو يعقل الأشياء ومع ذلك لا يعرف كيفية عقله!].

والمقصود من هذا: أن الروح فيها عبرة للعاقل، فهذه الروح التي بها حياة الإنسان وبها تصرفاته وعلمه وغير ذلك، عبرة جهله بها، وكيفيه أن يقف عند هذا، فإذا جهل روحه فكيف يطلب أن يعلم كيفية الربّ وكُنْهه ﷻ؟! واللّه قد نهاه عن هذا، وبيّن له أنه لا مثيل له، ولا كفاء له، فهو بهذا يكابر ويطلب شيئاً مُنْع منه، ولا سبيل له إليه، فهو أعجز وأقل من أن يعرف كيفية ربّه وكُنْهه ﷻ، وهذه روحه بين جنبيه؛ ولا يعرف حقيقتها ولا كُنْهها، وإنّما يعرف شيئاً من صفاتها كخروجها ورجوعها وغير ذلك مما أخبر الله به عنها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، مع أنها هي قوأم هذا البدن، وبخروجها يكون كسائر الجمادات، فله في هذا - لو عقل - عبرة في أن يُكفّ عما جهل، وأن يعرف قدره، وأن يقف عند الحدود التي حدّها الله له، فلا يتكلّف ما لا يعلم.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرهما، أعني: الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأنَّ الله لا صفة له ثبوتية؛ بل صفاته إما سلبية، وإما إضافية، وإما مركبة منهما. أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين، فهؤلاء قسمان: قسم يتأولونها ويعينون المراد، مثل قولهم: «استوى» بمعنى: استولى، أو بمعنى: علو المكانة والقدر، أو بمعنى: ظهور نوره للعرش، أو بمعنى: انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين. وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها؛ لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا القسم يسمّون: «المفوضة»، والأولون يسمّون: «المعطلة» عطّلوا صفاته، وهؤلاء فوّضوها، وزعموا أن الله خاطبهم بما لا يعلمونه، وهذه الطائفة أقبح أيضاً من الطائفة الأولى من بعض الوجوه. وأهل السنة يقولون: إنّها حقٌّ، وإنّها صفات معلومة؛ لكن لا يُعَلِّمُ كيفيتها، بل ذلك إلى الله؛ فالاستواء: معروف، وهو الارتفاع والعلو، والرحمة معلومة، والسمع معلوم، والبصر معلوم؛ ولكن ليس مثل صفاتنا.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما القسمان الواقفان: فقسم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم. وقوم يمسون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن، وقراءة الحديث، مُعرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات. فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها: القطع بالطريقة الثابتة كآيات والأحاديث الدالة على أن الله ﷻ فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دالة لا تحتمل النقض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل قال: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

(١) رواه مسلم برقم: (٧٧٠).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو مسلك المؤمن في كل شيء؛ لأنَّ باب الاشتباه وباب الجهل ليس خاصًا بالصفات، بل قد يُشكِّل عليه أشياء في الصلاة، وفي الزكاة، وفي الصيام. وفي الحج، وفي المعاملات، وفي الطلاق، وفي الدعاوى والبيانات، وفي الأوقاف، فالباب واحد، فينبغي للمؤمن أن يسلك مسلك أهل العلم باتِّباع الكتاب والسُّنة، وإيثار الحقِّ في باب الصفات وغيرها؛ ففي باب الصفات مسلك أهل السُّنة والجماعة في إثبات الصفات، ونفي مشابهة الله للمخلوقات، وفي باب العبادات التمسُّك بما جاء به الشرع، وترك ما خالف ذلك، وفي المعاملات ما دل عليه الشرع في أحكام المعاملات وغير ذلك، فإذا اشتبه عليه شيء وحار فيه؛ فليسأل ربَّه التوفيق والهداية، ويسأل ربَّه أن يفتح عليه من العلم ما يُزيل هذه الشبهة، ومن ذلك: ما كان يدعو به النبي ﷺ في صلاة التهجد: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». فیسأل ربَّه أن يفتح الله عليه، ويهديه لما اختلف الناس فيه؛ لأنَّ الغالب أن الاشتباه يكون في محل الاختلاف، وأما محل الإجماع فليس فيه اشتباه، فتطمئن القلوب، فالاشتباه في الغالب يكون فيما وقع فيه الخلاف، فعند هذا إذا وقع في قلبك شيء، ولم ينشرح صدرك ولم تطمئن؛ فاسأل ربك الهداية، واضرع إليه أن يهدي قلبك، وأن يبصِّرك، وأن يمنحك العلم النافع والبصيرة، وأن يفقِّهك في الدِّين، ومن ذلك هذا الدعاء: «اللهم رب جبرائيل...».

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وفي رواية لأبي داود: «أنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك»^(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

وهو من أنواع أدعية الاستفتاح، وهي أنواع عديدة ثبتت عن النبي ﷺ، وهذا منها: «اللهم رب جبرائيل... إلخ.



(١) رواه أبو داود برقم: (٧٦٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«إذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله، وكلام رسوله، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أنه ما يكتفي بالدعاء، بل يدعو ويعمل، ويراجع الأدلة، ويراجع كلام الصحابة، وكلام أهل العلم في المسألة التي أشكلت عليه، فيأخذ بالأسباب، ويراجع الأدلة ويتأمل، ويخلص لله، ويسأل ربه الإعانة والتوفيق، حتى تنشرح نفسه للحق، ويزول ما في نفسه من الشبهة. فالدعاء وحده لا يكفي، وكذلك التفتيش وحده لا يكفي، بل يجمع بينهما؛ فيدعو ربه، ويخلص إليه ﷻ، ويصدق في ذلك، ويبحث ويطلع ويراجع، ويسأل أهل العلم وهكذا، فيأخذ بالأسباب كلها، هكذا الصادق في طلبه؛ يجمع بين الأسباب كلها، إن كان في مزرعة سقى الزرع واعتنى به، وأزال أسباب فساد الزرع، مع الإخلاص لله، ومع سؤال الله التوفيق، ومع سؤال الله نزول البركة، وإن كان في جهاد أخذ السلاح وأعدّه، وحذر من العدو ومكائده، وهو مع ذلك يسأل ربه النصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. وهكذا في المسائل الأخرى.



قال المؤلف رحمه الله:

«ثم إن كان قد خبر نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف أنَّ غالب ما يزعمونه برهاناً هو شبهة، ورأى أنَّ غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كليّة لا تصح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة، ثم إنَّ ذلك إذا رُكِّب بالألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغرَّ^(١) ما يوهمه السَّرَابُ للعطشان؛ ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسُّنة؛ فإنَّ «الضد يظهر حسنه الضد».

قال المعلق رحمه الله:

وبضدها تتبيّن الأشياء، فإذا كان طالب العلم قد عرف حال المتكلمين، ونهاية إقدامهم، وما صاروا إليه من الشكِّ والريب، ثم تحوّل بعضهم إلى قول أهل الحقِّ، وعرف أنَّ ما يدَّعونه من الدعاوى ما بين الكذب، وما بين قياس فاسد، وما بين برهان لا حقيقة له - وإنما هو شبهة - وما بين قواعد أسَّسوها لا أساس لها، وبين إجماعات ادَّعوها لا حقيقة لها، فإذا كان عنده بصيرة بهذه الأمور؛ ازداد علماً وبصيرةً، واطمئنَّ إلى ما هداه الله إليه من العلم الذي حرّمه أولئك، حتى وصلوا بعده إلى الشكِّ والريب والجهل، أو رجعوا بعده إلى الحق والصواب، والله المستعان.



(١) قال سماحة الشيخ رحمه الله: «أي: الجاهل».

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وكل مَنْ كان بالباطل أعلم؛ كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدرة أعرف إذا هدي إليه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

لأنَّ علمه السابق ببطلان ما عليه أهل الباطل؛ يزيده علمًا بما هو عليه من الحق، ويزيده ثباتًا.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف على مَنْ لم يدخل فيه، وعلى مَنْ قد أنهاه نهايته، فَإِنَّ مَنْ لم يدخل فيه فهو في عافية، وَمَنْ أنهاه فقد عَرَفَ الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قَبْلَهُ. وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لِمُعْظَمَةِ هؤلاء، وقد قال بعض الناس: «أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان». وَمَنْ علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْلِفٍ﴾ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: ٨-٩]، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأنَّ حُجَّتَهُ ليست بينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حُجَجٌ تهافت كالزجاج تخالها حَقًّا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجهٍ مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء مَنْ أعرض عن الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»^(١). ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشیطان مستحوذ عليهم، رحمتهم وترفت بهم، أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوًّا، وما أعطوا علوًّا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة؛ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَدْتُهُمْ مِّنْ

(١) سبق تخريجه في (ص ٨٤).

شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا بِهَذِهِ الْأُمُورِ تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حَذَقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخَبَرَتُهُمْ؛ حَيْثُ حَذَرُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابَوْهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ ابْتَغَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُبَيِّنُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ الَّذِينَ خَاضُوا فِي الْكَلَامِ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى وَقَعُوا فِيهَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ، وَحَتَّى سَبَبُوا لِلنَّاسِ شَكًّا وَحَيْرَةً، وَحَتَّى سَبَبُوا لِلنَّاسِ مَشَاكِلَ كَثِيرَةً وَنَزَاعًا، وَمَنَاظِرَاتٍ وَتَعَبًا كَثِيرًا؛ يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ بِنَظَرَيْنِ: مِنْ نَظَرٍ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ خِلَافِهِمْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ النُّصُوصِ، وَتَحْكِيمِ آرَاءِهِمْ صَوِّبَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ فِيهِمْ، وَرَأَى أَنَّهُ كَلَامٌ عَظِيمٌ صَدَرَ مِنْ إِمَامٍ جَلِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حَيْثُ قَالَ: «حَكَمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يَضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيَطَافَ بِهِمُ الْقَبَائِلُ وَالْعَشَائِرُ، وَيَقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ». وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ، وَكَلَامٌ عَظِيمٌ، وَهُمْ جَدِيرُونَ بِهِ، حَقِيقُونَ بِهِ؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ النُّصُوصِ، وَتَلْبِيسِهِمْ عَلَى النَّاسِ، وَإِشْغَالِهِمْ أَكْثَرَ النَّاسِ؛ حَتَّى حَارَ مَنْ حَارَ، وَضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِأَسْبَابِهِمْ، فَهُمْ جَدِيرُونَ بِأَنْ يَطَافَ بِهِمْ

في الأسواق والعشائر والبلدان، ويجلدوا ويضربوا وينكّل بهم؛ لعملهم الخبيث، وإعراضهم عن النصوص.

ومن نظر إليهم بنظر ثانٍ؛ وهو أنهم أصابتهم حيرة وشكٌّ وريب، والتبست عليهم الأمور، من نظرهم بهذا النظر رحمهم، ورأى أن من الواجب أن يُعلّموا ويوجّهوا، وأن يصبر عليهم لعلمهم يهتدون ويتبصرون.

وهذا الذي قاله الشيخ رحمته الله صحيح في حقّ من لم يعاند، وأمّا من عاند وكابر، ولم يقبل الهدى، ولم يقبل التوجيه؛ فليس له إلا ما قال الشافعي رحمته الله، وما هو أشد منه من ضرب عنقه، وإراحة العالم منه، أو تخليده في السجون؛ حتى يستريح الناس من شرّه وبلائه، فإنّ هؤلاء القوم - كما قال أبو العباس رحمته الله - أعطوا ذكاءً، وما أعطوا زكاءً، فعندهم ذكاء، وعندهم فهم، وعندهم حذق؛ ولكن لم يوفّقوا، ولم يعطوا زكاة، فلم يزكّهم الله، ولم يعطيهم علمًا نافعًا؛ بل عندهم فهمٌ ضلُّوا بها، وعندهم ذكاء ضلُّوا به، وكثير من الأذكياء قد يتزندق بسبب ذكائه، ويحتقر الناس، ويرى أنهم ليسوا على شيء؛ فيضل ويهلك - نعوذ بالله -؛ لأنه يرى أن علمه فوق علمهم، وفهمه فوق فهمهم، وذكاءه فوق ذكائهم، كما جرى لأصحاب الكلام، وأصحاب الحيرة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البلاء؛ ظنوا أنهم مصييون، وأن أفهامهم فوق أفهام غيرهم، وأن هؤلاء ما عندهم بصيرة، وأنهم بُلْداء، هكذا اعتقدوا فضلُّوا وأضلُّوا، وقد أعطاهم الله أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء؛ لأجل

استكبارهم وإعراضهم عن الحقّ، واستغنائهم عن النصوص،
وزعمهم أنّ النصوص لا تفيد علمًا، وإنما يؤخذ العلم من فهمهم
وآرائهم، فلهذا هلكوا وأهلكوا، نسأل الله العافية.
فرحم الله المؤلف، وجزاه عمّا فعل خيرًا.



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤسسة:	٥
ترجمة موجزة للشارح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله :	٧
مكانة "الفتوى الحموية" عند الشيخ بن باز رحمته الله وثناؤه عليها:	١٥
تعريف الشيخ ابن باز بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله:	١٧
نصُّ السؤال الوارد على شيخ الإسلام الداعي لتأليف الفتوى الحموية:	١٩
منزلة العلم بالله تعالى:	٢٣
منشأ الخطأ عن من فضَّل طريقة الخلف على طريق السلف:	٢٦
الحيرة والشك عن المتكلمين:	٣٠
استحالة أن يكون الخلف أعلم من السلف:	٣١
أدلة علو الله على تعالى خلقه:	٣٣
قول نفاة العلو ليس له مستند من الكتاب والسُّنة ولا عن أحد من سلف الأمة:	٤٠
منهج النفاة في نفي الصفات:	٤٥
مصادر شبهات نفاة الصفات:	٤٧
افتراق الأمة وبيان الفرقة النَّاجية:	٥١
أصل مقالة تعطيل الصفات:	٥٣
مذهب النفاة من الصابئين في صفات الله:	٥٨
بعض الكتب التي عنيت بنقل مذهب السلف:	٦٤
القول الشامل في مذهب السلف في باب الأسماء والصفات:	٦٩
بيان أن التعطيل تمثيل والتمثيل تعطيل:	٧٤
القول الفصل في استواء الله سبحانه:	٧٦
اضطراب أهل التأويل المخالفين للسلف:	٨٠
أوجه الرد على من حَكَّم العقل وترك الشرع:	٨٥
بعثة محمد صلَّى الله عليه وآله بالهدى ودين الحق:	٨٨

رقم الصفحة

الموضوع

٩٣	 الطوائف المنحرفة عن طريق السف:
٩٨	 معاني التأويل:
١٠٩	 أقوال أئمة السلف في صفات الله:
١٠٩	 أقوال كبار التابعين في صفات الله تعالى:
١٢٠	 كلام ابن الماجشون في الصفات:
١٢٥	 تقرير الإمام أبي حنيفة لمسائل الصفات وإثباتها:
١٤٤	 كلام أبي عبد الله بن أبي زمنين:
١٥٧	 كلام الخطابي في صفات الله:
١٦٠	 كلام أبي نعيم في صفات الله:
١٦١	 كلام معمر بن أحمد الأصبهاني:
١٦٤	 كلام أبي بكر الخلال:
١٦٥	 كلام عمرو بن عثمان المكي:
١٧٠	 كلام الإمام أبي عبد الله المحاسبي:
١٧٩	 كلام الإمام أبي عبد الله ابن خفيف:
٢٣٩	 كلام عبد القادر الجيلاني:
٢٤١	 كلام الإمام أبي عمر بن عبد البر:
٢٤٥	 كلام الحافظ أبي بكر البيهقي:
٢٥٠	 كلام القاضي أبي يعلى:
٢٥١	 كلام أبي الحسن الأشعري:
٢٧٣	 كلام القاضي أبي بكر الباقلاني:
٢٧٨	 كلام أبي المعالي الجويني:
	عدم موافقة المتكلمين ممن نقل عنهم في هذه الفتوى لكل ما يقوله أهل
٢٨١	 السنة:
٢٨٢	 نفي التعارض بين نصوص المعية ونصوص العلو:
٣٠١	 أقسام الناس في نصوص الصفات:
٣٢١	 فهرس الموضوعات: